

الدكتور محمد رجب البيومي

انصاف مسلم بن الوليد

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

شاعر مظلوم

ظهر في فاتحة العصر العباسي شعراء عظام ملئوا الدنيا وشغلوا الناس عن مقدرة باهرة ، وابداع فائق ، وفي طليعة هؤلاء بشار بن برد ومسلم بن الوليد وابي نواس . ثم جاء من بعدهم من تمكنوا في ذروة الاشتهار تمكنا لا غاية بعده فكان ابو تمام والبحتري — وابن الرومي اخيرا — موضع الشد والجذب ، والاخذ والرد بين الناقدين . وقد كتبت المؤلفات الدراسية بافاضة واشباع عن هؤلاء جميعا ما عدا مسلم بن الوليد : لان الذين تحدثوا عنه اخذوا يلمون به الماما عابرا وكانهم يريدون ان يتخففوا من عبء ثقيل . ولعل عذرهم في ذلك ان ما روي من شعره بالنسبة لما قال ضئيل قليل ، وانهم ينتظرون يوما — بعيدا او قريبا — تكشف بعض الخزانات الادبية المطمورة في زوايا النسيان عن دفائنها الخافية فيظهر ديوان مسلم كاملا وافيا فينال حقه من الدراسة . وقد طال انتظار هذا اليوم دون جدوى مما حدا بالباحث الناقد الدكتور عبد اللطيف خليف ان ينهض لدراسته في ضوء ما بقي من شعره كي يصل رحما مجفوة طال اهمالها بين ذوي القربى من الدارسين ، والدكتور خليف صاحب حق فيما نهض به ، لان ما بقي من آثار الشاعر الكبير يدل على معدنه الادبي ، ويكشف عن حقيقة جوهره الفني بما يغني فيه القليل عن الكثير ، كما ان من السخرية الساخرة ان تظهر الدراسات المتوالية عن شاعر كابي العتاهية لا يمكن ان يقاس بمسلم في شيء ، وتشح الدراسات النقدية عن مسلم ، فاذا تعرض له دارس متعجل ، فلكي يعطيه باليمين ما يأخذه سريعا بالشمال ، وهذا ما تأمله الدكتور خليف في نهضة لكتابة دراسته الرائعة عن مسلم بن الوليد .

انصاف مسلم

قلت ان بعض الدارسين يلم بمسلم ليعطيه باليمين ما يأخذه سريعا بالشمال ، وتفصيل ذلك في هذا النطاق الضيق ، ان الشاعر الكبير قد كاد يضيع بين بشار بن برد وابي تمام ! فبشار وابو تمام موضع المجاذبة في مجال الحديث عن الابتداع الشعري الذي عرف به المحدثون ، وانت تطالع ما كتبه القدماء ممن يتحدثون عن مدرسة البديع بمدلوله العام ، فتجد اختلافا متباينا لا حد لانتهائه لان العصر العباسي قد فاجأ الناس بلون شعري يختلف عن سابقه لونا وتصويرا وعمقا وبناء ! وامام هذا اللون الجديد يجب ان يكون ذائع الاشتهار ، واضح الملامح ، وضيء القسمات بين الناس ، لانه خرج عما يسمونه بعمود الشعر ، وجاء بما يسمونه ايضا بالبديع ! هو اذن صاحب زعامة حقيقية في دولة الفن ، ومهما كان لهذه الزعامة من شطط فني ، فانها قد تركت اثرها الواضح في الادب العربي ، وعلى سننها نهج كثير من الشعراء : وحول فنها الجديد دارت كثير من المؤلفات النقدية لكبار الائمة من رجال النقد الادبي في القديم والحديث ، وتكلف القارىء رهقا حين نهجم عليه بطوفان زاخر مما قال السابقون فلا اقل من ان نوجز بما يدل ويشير .

من اقوال الناقدين

يقول الجاحظ — وهو اسبق من تحدث من هؤلاء — ومن الخطباء الشعراء من كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن . كلثوم بن عمرو العتابي ، وكنيته ابو عمرو . وعلى الفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف ذلك من شعراء المولدين كمنصور النميري ومسلم بن الوليد واشباههما . فالجاحظ اذن يرجع بهذا النمط الجديد الى كلثوم العتابي .. ثم قال بعد ذلك ، « وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع » (١) فرجع به الى بشار !!

ويقول الآمدي « ليس الامر لاختراعه — يعني

ابا تمام — لهذا المذهب على ما وصفته ، ولا هو اول فيه ، ولا سابق اليه ، بل سلك في ذلك سبيل مسلم واحتذى حذوه . . . ثم قال الآمدي : على ان مسلما غير مبتدع لهذا المذهب ، ولا هو اول فيه ، ولكنه راى هذه الانواع التي وقع عليها اسم البديع وهي الاستعارة والطباق والتجنيس منشورة متفرقة في اشعار المتقدمين تقصدها واكثر في شعره منها » (٢) فمسلم اذن زعيم المدرسة الجديدة ذات الخيوط القديمة في راي الآمدي .

ويقول الجرجاني عن ابي تمام « وانا ادين بتفضيله وتقديمه ، وانتحل موالاته وتعظيمه ، واراه قبلة اصحاب المعاني وقدوة اهل البديع » (٣) فابو تمام القدوة في راي الجرجاني .

وقال ابن رشيق « على أن مسلما إسهل شعرا من حبيب، واقل تكلفا، وهو اول من تكلف البديع من المولدين، واخذ نفسه بالصنعة ، واكثر منها ولم يكن في الاشعار المحدثة قبل مسلم صريع الغواني الا النبذ اليسيرة » (٤).

هذا بعض ما قال ائمة النقد القديم من امثال الجاحظ والآمدي والجرجاني علي بن عبد العزيز وابن رشيق ، ولكل وجهة هو موليها ، وليس حديث القوم عن امر غائب يكتفى فيه بالشهادة امام القضاء ليرجح القاضي بين اقوال الشاهدين على ضوء ما يعلم من صفاتهم الصادقة اوالكاذبة انما يتحدثون عن شعر ذائع مشتهر لهؤلاء ، نجده او نجد الكثير منه بين ايدينا لندرسه من جديد، ولنرى اي الناقدين من هؤلاء كان اهدى سبيلا واقوم طريقا .

صنيع الدكتور عبد اللطيف خليف

ولهذا تصدر الدكتور خليف للحكومة في هذه القضية المعضلة ، فقرأ شعر القدماء ليرى انه لا يأتي بالبديع الا عفوا دون قصد فيوافق على اتجاه من نحوا هذا النحو ، ثم قرأ شعر بشار فرأى انه تفنن في بعض اساليب الاستعارة والتشبيه وما يعرف بالصور البيانية دون ان يذهب مذهب مسلم في الجناس والطباق وسائر الوان البديع ثم عكف على دراسة ما بقي من شعر مسلم مقارنا بما نقرؤه في ديوان ابي تمام ، فرأى مع ابن رشيق ان مسلما اسهل شعرا من حبيب ، واقل تكلفا ! وهي قضية تحتاج الى امثلة كثيرة واستشهاد حافل ، وهو ما لم يضن به المؤلف الدارس إذ عقد فصلا دقيقا يتحدث عن الصنعة الفنية لدى مسلم ، بعد أن تحدث في فصل سابق عن الوحدة الموضوعية لديه وعن صدق انفعاله بما يحس ويلمس ويرى من افانين الحياة ، وعن حدود الصورة الشعرية في قصائده منتقلا الى الحديث عن اللغة والاوزان في استدلال يقظ لا يغفل التنبيه الى المحاسن ، والمآخذ معا ! وحين انتهى من ذلك كله الى حديث الصنعة الفنية لدى مسلم كانت كل الخيوط المتفرقة مجتمعة في كفه ، فاخذ ينسج الثوب في دقة واحكام وما كتبه الدكتور عبد اللطيف خليف، عن قيمة الشعر الفني لدى مسلم هو من انفس ما قيل في مسلم، لانه حدد موضعه الصادق من السابق والخالف معا ! وهذا هو الذي بحث عنه الناقدون واختلفوا فيه .

موقف مسلم من سابقيه

اما موقف مسلم من سابقيه فقد كشف المؤلف عنه النقاب حين قال في لباقة (لم يكن الذين قالوا بسبق مسلم الى البديع يجهلون ان البديع كان موجودا من قبل مسلم إبن الوليد في إشعار المتقدمين ، ولكنهم راوا أن ما جاء من قبل كان عفوا بلا تعمد ، اما مسلم فقد قصد تزيين شعره به ، وتعمد ان يقيم به صنعة بديعية دقيقة في شعره يعكف عليها ، ويجيد احكامها ، ويهذب بها فنه ، فاستحق بذلك ان يكون اول من جاء بالبديع عمداً ، واول من كسا المعاني حللها قصداً ، واول من اقام للبديع صنعة جاء بها شعره مرصعا ، وغزله مستعذبا ؛ فلم يكن بديعه من طراز ما جاء عفوا لدى بشار وابي نواس ؛ وانما جاء بصنعة يعكف عليها ، ويجود فيها بعد اناة وتفكير متسقا مع بيان الصورة دون ان تحس ان صنعته ذات سذاجة ، او محشوة بالفضول » .

موقف مسلم من خالفيه

واذا كان مسلم قد ظلم حين غمط حقه في ايضاح تجديده البياني ، ونسب الى سواه ممن احتذوه ونهجوا نهجه ! فانه ظلم ظلما تاليا حين القيت عليه اوزار البديع المتكلف عن جهد واعتمال، فقد بالغ نفر من خالفيه في رصف البديع ، والاكثار منه اكثارا كان مدعاة النفور في اكثر ما قال ، وما قامت قيامة النقاد حول ابي تمام الا لما تعسف فيه من كثرة الايغال في تصيد هذه الالوان ، دون إلتفات الى ارهاق الفن بكبول حديدية تطفىء من بريقه ! ولهذا وجدت الثورة على البديع والدعوة الى عمود الشعر ، والمناداة بتفضيل البحتري على ابي تمام ! والبحتري بديعي دون شك ، ولكنه يتناول البديع بحذر لا يوقعه في التمحل والافتعال ، وبذلك وقف لدى الآمدي في الوجهة المقابلة لابي تمام ! وكان الظلم الذي حاق بمسلم بن الوليد من جراء صنيع ابي تمام داعيا للدكتور عبد اللطيف خليف ان يحدد القضية تحديدا لا يقبل اللبس ! ونقول القضية لان بعض من خاضوا عبابها كانوا قضاة رسميين كالآمدي والجرجاني والباقلاني ! اما الدكتور خليف فكان قاضيا إدبيا فحسب ، وقد اصاب كل الاصابة في حكمه الدقيق .

بين ابي تمام ومسلم

يقول الدكتور في هذا الصدد « ولما كانت صنعة التطور الطبيعي لصناعة مسلم ، ثارت ثائرة طائفة من النقاد على مسلم اذ فتح الباب لابي تمام ومن

الليل

ترب الزمان وسره المستغلف ... من دونه الدنيا ترث وتعتق
اطباقه لجج المحيط تلاطمت ... اثباجه وتواكبت تتدفق
تجري بمنهمر القتام ولا تني ... تنداح عاصفة ولا ترفق
غمرت سحائبها الشعاب ولم تزل ... بسحائب ترد الشعاب وتغدق
طلعت سراياها بسود طلائع ... من دونها جثم الجهام الازرق
وبكل افق راية منشورة ... كجناح نسر في سماء تخفق
عذباتها القتم الذي صفحاته ... في كل افق تستجد وتفسق
تطوي وتنشرها الرياح ولا تني ... ابدا لزمار الرياح تصفق
وكواكب الجوزاء في قتم الدجى ... شعل على طول المدى تتالق
نثرت على افق سحيق غوره ... اخفى من النهر السحيق واعمق
وتجمعت اشتاتها ككتائب ... راحت لريب هواجس تتحق
او انها مقل الزمان على الدجى ... تستطلع الغيب الخفي وترمق
وكانما الجوزاء درع احكمت ... حلقاتها وتشابكت تتنسق
دقت غرائب صنعها حتى خفى ... من دقة فيها الجليل المشرق
وتخبط الناس الألى في سرها ... فمكذب في امرها ومصدق
ومن العجائب لم تزل آياتها ... لسائل بلسان حال تنطق
والريح تزار كالهصور وتارة ... لهواجس الذكرى تئن وتشهق
مخرت مصفقة الشراع إلى مدى ... ما كان يدرك شاوه او يلحق
تجري على سنن الغواية فلكها ... في مشرع الليل البهيم وتعنق
دارت بمنعرج الشعاب ولم تزل ... في كل منعرج تدور وتنعق
وشراعها لا تنطوي عذباته ... دون الدجى يوما ولا يتخرق
ما انفك يضرب تائها كمشرد ... في شاسع والليل داج مطبق
والارض في سنة التزيف تناءبت ... ضجرا لزمار الرياح يشقشق
نظرت بمقلة مدنف متوجع ... والدمع في اجفانه يترقرق
ونوافج الروض الانيق كديمة ... منهلة فوق الثرى تتدفق
عصفت غوارب نفحها فتضوعت ... اعرافها بنوافج تتفتق
فالطيب منهل على سرد الربى ... وسحابه طل يسح وريق
غمر الفضاء ولم تزل اعرافه ... فواحة وبها الفضاء مخلق
والليل في ثوب الحداد على المدى ... من غصة الاشجان مغض مطرق

دمشق

عدنان مردم بك

تلاه ، فهم يأخذونه بتقصير من جاء بعده من الشعراء الذين قصدوا الى صنعة البديع ، ولم يبلغوا من اجادتها ووضعها في موضعها ما بلغ مسلم حتى جاءت صنعتهم في البديع عبثا يقوم على التلاعب بالالفاظ ! فهل يعيب مسلما وقد اجاد صنعته أن تناولها من بعده شعراء لا يجيدونها حتى افسدوا بها الشعر ، وصار صناعة لفظية لا تغني من الفن شيئا » .

هذا بعض ما قاله الناقد الحصيف ، وهو لا يجحف بأبي تمام ، ولا ينزله عن قدره الفني ، لان الخلاف حول ما تورط فيه من افتعال ، اما ما سبق فيه عن إصالة وافتنان فلن يجحده دارس إمين ، والذي يحاول ان ينصف شاعرا مظلوما مثل مسلم بن الوليد لا بد ان يكون سبيل الانصاف ديدنه السائد مع سواه ، وقد سلك الناقد طريقا وعرا حين التزم الجد الدائب ، والبحث المتعمق ، والنظر المتمهل حتى واهتدى الى صواب سديد فيما كتب، ونرجو ان يكون انصافه لمسلم مقدمة لانصاف سواه ممن رزحوا تحت اطمار النسيان في ظلمات الزمن وانهم لكثيرون .

(١) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ٥٩ .

(٢) الموازنة للامدي ص ٦ .

(٣) الوساطة للجرجاني ص ٢٥ .

(٤) العمدة لابن رشيق ص ١١٠ جـ ١ .

المنصورة ـ مصر

محمد رجب البيومي

الدكتور عبد السلام العجيلي

لقطات من جورج صيدح

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

* * *

آخر لقاء لي بجورج صيدح كان في صيف عام ١٩٧٥ ، وفي باريس . كان موعدنا في مقهى الفوكيتس في الشانزيليزيه ، في صباح مشرقة شمسه ، ثاني ايام وصولي الى العاصمة الفرنسية في ذلك الصيف . لم إكن رايته منذ زمن ، إلا ان المراسلة كانت متصلة بيننا في رسائل لا تتعدى احيانا كلمات مقتضبة تعليقا على خبر او تقييما لكتاب او اعلاما منه لي بآخر ما نظمه من شعر . في هذا اللقاء الاخير لاح لي صديقي الطاعن في السن بصحة جيدة ونشاط لا غبار عليه ، وهو الذي كان في السنين الاخيرة لا يخرج من المستشفى لمرض او جراحة آلا ليعود إليه من جديد . وفي اثناء حديثنا المتبادل وضع هو على المنضدة امامي حلقة فيها عدد من المفاتيح وقال : « هذه مفاتيح سيارتي المرسيدس . هي هناك بجانب الرصيف . اعرف انك تجيد قيادة السيارة في باريس ، لذا احضرتها لك لتستعملها مدة اقامتك هنا ، فانا لست في حاجة إليها » : شكرته واعتذرت عن عدم قبول عرضه الكريم ، وقلت له ان الإسفار في هذه الايام هي فرصتي الوحيدة لامشي على قدمي او لاجعل الآخرين ، ولو كانوا من سائقي التاكسي ينقلونني بسياراتهم بدلا من ان انقل نفسي والاخرين في سيارتي ...

وكنت اعرف ان الذي ذكر جورج صيدح بالسيارة وقيادتي لها هو حديث حدثني به ذات يوم في دمشق ، ورويته إنا في محاضرة نشرتها بعد القائها في واحد من كتبي . في تلك المحاضرة قلت ما يلي :

« ...اذكر في هذا المجال اني والشاعر المهجري الكبير جورج صيدح كنا نتذاكر مرة في محاسن امتلاك سيارة لمن يقدر على امتلاكها . عددت إنا هذه المحاسن حتى ظننت إني المت بها جميعها ، فقال لي : نسيت حسنة كبيرة . قلت : ما هي ؟ قال : الغناء فيها . قلت : لم افهم ما تقصد . قال : الغناء فيها لمن كان مثلي ... اني اشتاق احيانا الى ان اغني بصوت عال فاجد عسيرا ان ابرد هذا الاشتياق . الغناء في صالون البيت او في غرفة النوم امام اهل الدار والخدم غير ممكن ، والغناء في محل العمل او في الطريق مستهجن . اغلقت مرة باب الحمام علي ورفعت عقيرتي بالغناء على طريقة جدا ، وانا طرب بصوتي ، فاحسست ضجة وسمعت اصوات ضحكات وراء الباب ، واذا بحفيدي قد دعيا امهما والخدم ليستمعوا الى غناء جدهم الشيخ باغان لا يرددها غير الشباب . لهذا اكتشفت ان المكان الوحيد الذي امتلك فيه حريتي هو سيارتي الخاصة . اغلق نوافذها ، وانطلق بها خارج المدينة ، واغني حتى يبح صوتي ويشتفي قلبي... هذه هي اكبر حسنات السيارة الخصوصية ! » .

نقلت هذا الحديث كما ذكرت في محاضرة لي كان اسمها « قصائد مهمشة » ، منشورة في كتابي « السيف والتابوت » وقد كان هذا الكتاب نفسه اثيرا عند جورج صيدح ، لا لاني تحدثت فيه عنه ، بل لامور اخرى لها صلة بوجدانه القومي وبالنار التي اكلت قلبه من نكبة العرب الكبيرة عام ١٩٧٦ ، آذ وجد في بعض فصوله ذكر وقائع اعادت الى نفسه شيئا من الثقة بأمته وابنائها بعدما كادت تلك النكبة تؤنسه منهم ومنها . بعث الي بعد قراءته الكتاب بطاقة يقول فيها :

« .. جاءتني هديتك في انسب وقت (شحمة على فطيرة) وانا في عزلة المستشفى وغمرة الهواجس على اثر جراحة بسيطة نغصت عيشي . طالعتها ولساني يلهج بالدعاء والثناء على من شرح صدري ويسر امري ورد الي ثقتي بحسن حظي. فلولاه ما الهمك المولى هذه البادرة في احوج الظروف الى مثلها من المنعشات المبهجات ، بعد الانقطاع سنوات ... ولكن الاخيرة (السيف والتابوت) ادهشتني ببراعة العرض والسرد فضلا عن قيمتها التاريخية وعن قوتها الاعلامية في تمجيد البسالة العربية وتكريم شهدائها المجهولين . انها من طراز الاداب العالمية. تستحق الترجمة إلى لغات الغرب ، وبالاخص الى الانكليزية . انا لو كنت احسن حالا واصفى بالا لتصديت

الترجمة الفرنسية او الاسبانية ، ولكن بعد الثمانين يحول الجريض دون القريض ، فاعذر اخاك المريض ... »

وانا اعتذر من ايرادي عبارات الثناء في كلمات صيدح الي ، وقد اغفلت في الواقع كثيرا مما احتوته منها تلك البطاقة . كانت رسائله التي تتعلق بما يطلع عليه من انتاجي مليئة بالتقريظ . وكان حريا بي ان أصرف تقريظه الى دفء لسانه ، كما يقول التعبير العامي ، والى تلمسه اخفى خوافي الاحسان في ما يصل اليه من انتاج اصدقائه ومراسليه . الا ان اخانا الاستاذ وديع فلسطين طمأنني الى ان تقريظات صيدح لما ينشر لي ليست مجرد مجاملة حين كتبت اليه اسأله ، اسأل الوديع ، عمن يوصل اليه ما اكتبه في الدوريات التي لا يتداولها الناس في مصر فاجابني برسالة يقول فيها : « ابن الحلال الذي يوافيني بمجزوزات من فصولك المندرجة هنا وهناك هو حبيبنا جورج صيدح ولا سواه . فقد عودني على ان نتبادل الإنخاب ؛ فيوافيني هو بكل ما يختاره من مطالعاته وأوافيه انا من جانبي بمختاراتي ...

ولم يكن ما قاله جورج صيدح في السيارة الحديث الوحيد الذي نقلته عنه في ما كتبت . فقبل ذلك كتبت في زاوية كانت تنشرها ، في الخمسينات جريدة « الايام » الدمشقية بعنوان « يوميات الإيام » مقالا تندرت فيه على بعض القضاة الذين لا تكون شخصياتهم في مستوى مسؤولياتهم . وقد ختمت يومها ذلك المقال بفقرة قلت فيها :

« ... ومع ذلك فان هناك قضاة يستثيرون الشفقة ارجو الله ان لا يمتحن اصدقائي من القضاة بمصير مثل مصيرهم . روى لنا الشاعر الكبير جورج صيدح قصة واحد منهم في الحكاية التالية : في فنزويلا ، حيث كانت تكثر الانقلابات العسكرية وحيث اقام صديقي الشاعر الكبير جانبا من سني حياته ، جاء احد رؤساء الجمهوريات بصديق له وعينه كاتبا لقاض في احدى محاكم العاصمة . وفي احدى الحفلات الرسمية التقى رئيس الجمهورية بقاضي تلك الحكمة فسأله عن حاله وعمل محكمته ، فقال القاضي : الحال على ما يرام يا صاحب الفخامة لولا شيء واحد ، هو صديقك الذي تفضلت فاصدرت أمرك بتعيينه كاتبا لي ... قال رئيس الجمهورية : انه على ما أعلم شاب نشيط ، فماذا تعيب عليه ؟ قال القاضي : انه امي يا صاحب الفخامة ، لا يعرف القراءة والكتابة ... فتراني مضطرا الى ان اكتب قراراتي بنفسي بينما المفروض ان اقرر الاحكام وهو يتولى تدوينها . قال الرئيس : وهل لا يطلب من القاضي ان يكتب ؟ قال القاضي : ليست الكتابة من شان القاضي يا صاحب الفخامة . فابتسم رئيس الجمهورية ووعد بانه سيسوي الوضع الذي يشكو منه القاضي قريبا . وفي اليوم التالي تلقى القاضي المحترم قرارا يعين به الكاتب قاضيا ، والقاضي كاتبا .. والاسباب الموجبة هي ان القاضي الاصيل يعرف القراءة والكتابة بينما الكاتب ، صديق رئيس الجمهورية ، لا يعرف منهما حرفا واحدا !... »

واقول هنا ان ذلك المقال الذي نشر في منتصف الخمسينات ، وكان بعنوان « الرعاة والقضاة » ، اثار عند نشره حفيظة بعض من قرأه من رجال القضاء في بلادنا ، الى درجة أن قاضيا منهم اقترح ان تقام الدعوى علي انا كاتبه بتهمة المساس بما لا يمس . الا إن زملاء لذلك المقترح اوسع منه صدرا وابعد نظرا افهموه ان ليس في ما كتبت ما يسوء القضاء بشيء ، فصرف النظر عن الدعوى ... وكفى الله المؤمنين القتال .

وفي الخمسينات ايضا ، وانما في اوائلها ، كانت معرفتي الشخصية بجورج صيدح . انه في اول رسالة منه الي ، وهي مؤرخة في ٢٨-١٢-١٩٥٢ ، يذكرني بلقاء لنا في صيف ذلك العام ، على الشانزيليزيه نفسها ، ويعدني بان يرسل الي ديوانه الجديد ، « نبضات » ، الذي كان تحت الطبع . وقد تلقيت بعد ذلك نسختي من الديوان ، عن طريق استاذنا صاحب الاديب الذي اقترح أن اكتب عنه للاديب ، فكتبت عنه كلمتي التي نشرت في عدد اكتوبر عام ١٩٥٤ من مجلتنا هذه . ومنذ ذلك الحين تعددت لقاءاتنا منجمة على سنوات طوال ، في بيروت ودمشق وباريس . وفي الفترات التي كانت تباعد بيننا فيها المسافات كنا نلتقي بالتراسل او على قراءة كتبنا المنشورة التي نتهاداها . كانت رسائله الاولى الي مرحة تتضمن كثيرا من الدعابات ومن امائر الاهتمام بالدنيا ومن فيها . إلا إنها بتمادي الزمن الذي كان يثقل كاهلينا معا ، وكاهل صيدح قبلي ، بأعباء السنين ، وبتتابع الاحداث بل النكبات على امتنا وبلادنا ، آخذت تكتسي سوداوية تزداد قتاما يوما بعد يوم وتحمل رنة حزن دائمة مصوغة بالنثر او بالشعر . مثال من هذا ما كتبه لي في بطاقة مؤرخة في ٧-٨-١٩٧٧ ، يعلمني فيها بخروجه من المستشفى :

« ... اما انا فقد عدت الى منزلي سالما متحدثا بفضل ربي الذي منحني هدنة جديدة قبل الرحلة العتيدة:

شبعنا من الايام يا شمس يوشع
ومن يلتهم زاد الثمانين يشبع
ينام ويصحو في ثياب المودع

واذا كنت لا احتفظ بنسخ من رسائلي الى صيدح فان اكثر رسائله لحسن الحظ محفوظة عندي ، رجعت اليها فجمعتها من دروجي المتفرقة حين شرعت في كتابة هذا المقال ، فأتاح لي ذلك معايشة جديدة للصديق الراحل ملأت نفسي بشعور مزيج من الاسى العميق ومن الصفاء النفسي . ان العودة الى آثار الاحبة الراحلين تحييهم في انفسنا ، فكانهم ما غابوا عن هذه الدنيا بل سبقونا الى غاية معلومة واستراحوا فيها ينتظرون عندها مقدمنا القريب المحتم . من إحدى تلك الرسائل انقل للقراء رد صيدح على ما كتبته اليه حول الدعوة الى تنصيبه اميرا للشعراء . كانت هذه الدعوة قد وردت في بعض الصحف ورددها

فريق من اصدقائه والمعجبين به خلال سنة ١٩٧٥ . وقد كتبت اليه آنذاك اقول له اني اربأ به عن ان يعتقد بجدية الدعوة او بقيمتها ، فلقب مثل لقب هذه الامارة لا يتمناه او يقبل به الا سخفاء التفكير ، في حين ان شاعرية صيدح لا تحتاج الى لقب يزكيها ونفسه من علو المكانة بما لا يزيدها رفعة ذلك اللقب . اجابني صيدح على ذلك الاستنكار مني برسالة هذا بعض ما فيها :

« ... امارة الشعر المزعومة حديث خرافة ... لا يؤبه له الا للسخرية والضحك على الذقون . أنا سارعت للرفض والتكذيب والتأنيب بواسطة الاخ مروة في مجلة السياحة . ثم أردت باصرار من صاحب الاقتراح ان ينشر الرفض والتكذيب في جريدته (المصري) ففعل كما ترى . ومن غريب المصادفات ان تصلني دعوة جدية من ندوة الادب العربي في بونس ايرس بلذات المعنى وذات الغرض. فعجبت من رواج سوقي بعد الثمانين بعد كسادها في العشرين والثلاثين ، وذكرت مثل ستي رحمة الله عليها (بعد الكبرا جبه حمرا) .

إليك قصيدة من محصوبك سميتها Le chant du cygne (اغنية البجعة) واعتبرها مثلا رائعا للشعر الذي لا يسمعه احد ولا ينتفع به احد . لن يصل صوتي الى هدفه (لبنان) بل يبقى غناء في الطاحون او صرخة في أذن القلمون . لا يتعدى فشة الخلق ولا يشفي غليلي والمي مهما بكى واشتكى قلمي . انا إليه وانا اليه راجعون » ...

وهذه الرسالة مؤرخة من باريس في ٣٠-١-١٩٧٥ اما القصيدة التي سماها اغنية البجعة ، ويعني بها آخر نشيد لذلك الطائر قبل أن يفارق الحياة ، فهي قصيدة من سبعة وعشرين بيتا ، عنوانها « الدين المعاملة لا المقاتلة ... فاتقوا الله في لبنان ، يا دعاة الاديان ! » . ومضمون القصيدة واضح من عنوانها . ومن المؤسف اني لا إستطيع ان أورد هنا كل تلك القصيدة مما يتعلق بذلك المضمون الا اني اقتصر على ما تحدث فيها عن نغبه اذ يقول :

توارث في الضباب حياة ارعن	تقلب في مناكبها سنينا
اساء لنفسه حينا ، واحسن	الى اصحابه في الدرب حينا
وماذا يرتجي الشعراء ممن	تجاوز ، مرتين ، الاربعينا
تغرب ، لا يطيق العيش مع من	يتاجر بالحمى والباكتينا

....

ولي قلب ندي ان تفضن	جرى دمه كمدمعه سخينا
واجفان عليها السهد دون	هزيمة فارس التغريبنا
حزين لبه ، والوجه احزن	يبش ولا يغش الزائرينا
تمادى ليله حتى تبين	صباح اليوم ، يوم الاخرينا
تعود ان يفرد حين يطعن	وحين يرد سهم الطاعنينا
اناخ الداء همته وازمن	ولم يستعطف الداء الزمينا
تمعن كلما المكروه امعن	وكفكف عن مقاتله المنونا

بحول الله رب العالمينا

اما آخر رسالة تلقيتها من ذلك العزيز فهي مؤرخة في ٢٦-٥-١٩٧٨ . كنت في النصف الاول من ايار - مايو من ذلك العام قد حللت باريس لايام قليلة لم يتح لي فيها الاتصال بصيدح واكتفيت بأن وضعت له في بريد المدينة كتابي « عيادة في الريف » الذي كان حديث الظهور . وحين عدت الى الرقة لحقتني منه هذه الرسالة التي انقلها بنصها ، غير متنازل عن عبارات الثناء التي غمرني بها فيها:

« سيدي الاخ الدكتور عبدالسلام

انت كالشمس التي تشرق على الصالحين والطالحين، اذ يعم فضلك المستحقين وغير المستحقين . بهذا قضت مروءتك وازمنت عادتك فصار الفضل يتبع الفضل ولا يعجب احد من استمرار البذل . كتاب (عيادة في الريف) اي رائعتك الاخيرة جعلتني احسد الريف على طبيبه الظريف ، فانا أحوج اليه من سكان الرقة . اقعدتني الشيخوخة واضنتني الاسقام فأصبحت سجين غرفتي ، كلما داويت جرحا سال جرح . تسلمت هذا الصباح مقطوعة شعرية من صديق قديم ينصحني فيها ان اتداوى بالصلاة والصيام الى رب الانام ، فاجبته بقصيدة هذا مطلعها : .

ادبتني ووعظتني يا وليم	خدره روحي فهي لا تتألم
لكن جسمي مثخن متعفن	لاب الطبيب به وخاب البلسم
لو خيروني كنت اختار الردى	ضيفا يحل المعضلات ويختم
غيري له فردوسه ، إما إنا	عاشت معي طول الحياة جهنم

عفوك ... ما امسكت القلم لاشكو وانوح بل لاشكرك على بادرتك الكريمة الباهرة ، تحمل الهدية ، بيديك وتزعج نفسك بالسعي الى البريد حتى تضمن وصولها . جزاك الله عني خيرا وعافية والهاما وادام لي عطفك يا اجدر الاصدقاء بالاحترام والولاء . عزيزي

جورج صيدح

* * *

وبعد ، فهذه لقطات وذكريات عن صلة امتدت على مدى اعوام طويلة بيني وبين جورج صيدح ، فيها بعض الاجابة على ما طلبه الاستاذ عيسى فتوح ، في عدد يناير - فبراير من الاديب ، من اصدقاء الشاعر الكبير الراحل ، وان لم اكن بين من ذكر الاستاذ عيسى اسماءهم في مقاله. ولست اشك في ان اصدقاء آخرين لفقيدنا الغالي أكثر مني جلدا على المراسلات الاخوانية ، واعترف اني لم ارزق هذه الفضيلة ، يملكون من رسائله ويعرفون من اخباره اكثر مما أملك وأعرف . ولكني على كل حال لم ارد ان اتقاعس عما يعيد الى الخواطر بالخير ذكرى ذلك الصديق العزيز والانسان النبيل ، الفائق الشاعرية والصادق الوطنية والسامي في خلقه وفي سلوكه . ولذا جئت بهذا المقال مدليا بدلوي بين الدلاء ، وان لم يحو دلوي إلا الوشل وقليل الماء .

الرقة - سورية **عبد السلام العجيلي**

القصيدة العسجدية

التي بها ودع الشاعر جورج صيدح الحياة واختار لها عنوان
« صلوات على مسمع الاخوان الابرار في مختلف الاقطار »

جورج صيدح

١ ــ إلى الاخ الإستاذ وليم صعب

قلبي يحدثني بانك مرشدي ... في تيه ايامي وعشواء الغد
النور قاطعني غداة تركته ... خلفي ؛ ولم إجمل سراج المعبد
لم ابتعظ بك قائلا بل فاعلا ... في محشر الضلال فعل المهتدي
يا «صعب» انت السهل في شرعي فما ... آنست فيك سوى السعيد المسعد
تقواك في دنياك مدت ظلها ... فوقي ، كأني واحة في فدفد
تعيي صلاتي كلما صعدتها ... لله، فاجعل من صلاتك مصعدي
والله تواب علي لانني ... هيات نفسي للقاء السرمدي
آتت المجيد بدينه ويقينه ... وابو المجيد (١) بشعره المتجدد
ان زدتني يوما كما واعدتني ... توجت احلامي بابهى موعد

٢ ــ الإستاذ الحبيب الين اديب :

قل (للاديب) المصطفى حين اختفى ... تبا لعيش بالدمار مهدد
روت مجلته صدى قرائها ... لم تنس الا ري صاحبها الصدي
وهو النجيب المستجيب لكل من ... ينتابه ، من رائع او مقتبد
متفرد في جهده ، متعبد ... لرسالة تقسو على المتفرد
لا يضمد الجرح الذي في صدره ... ما دام جرح ديارنا لم يضمد

٣ ــ اليونس المقدام جابر عثرات الكرام (٢) :

(عبداللطيف) ابا السيوف شهرتها ... ورفدتني في حين لم استرفد
طاردت في ساح المهاجر مدخلا ... وصرمت حبل الغادر المترصد
فيك المروءة غضبة مضرية ... للحق لا يعنيك باس العربد
كلا وما حابيت علجا ابدا ... ان كان بالاخلاق غير مؤيد
لو ان بعض الشاربين على القذى ... ساروا مسيرك ما تعكر موردي

. . . .

دور الصفاقة والحماقة عنده ... كان السبيل الى انتحال السؤدد
تجري السفاهة من خروم يراعه ... جري الوحول على الاديم الاربد
ارثي لمن وثقوا به من صحبه ... لا يعلمون متى الخيانة تبتدي
بعض الخيول الشمس يضرب بالعصا ... والبعض يكفيه اهتزاز المقود

٤ ــ شاعر الاهرام محمد عبد الغني حسن (٣) :

يا حامل القيثار ، ضاع شبابه ... في عشرة الاوتار ، لا تستشهد
يكفيك ما عانيت من جهد لدى ... ذل القوافي العاصيات الشرد

انا في اسارك ، دانيا او نائيا … اغدبك ـ هل يعنيك هم المعتني
في مسمع الفسطاط بثي دائما … يروي تعلات المشوق المجهد
الدهر عاقبني على شيخوختي … فغدوت اشبه مومياء المعهد
افسحت لو رأت الكنانة سحنتي لتنكرت للطارق المتساود
اما ودابك فهو اقرب ساكن … قلبي ، واعظم كامن في معبدي
لله درك عبقريا جامعا … شتى المواهب في ازار موحد
اصبيت من عقل الزمان لسانه … لولا الصبابة سيطرت لم انشد
في ذمة الاجيال ما غردته … وتركته ارثا لكل مغرد
سقيا لعهد مطارحات بيننا … رقصت على شفة الصدى المتردد
احسنت للارواح ، كسم عللتها … بالراح من دية (الخليل ومعبد)

يا شاعر الاهرام ، ان تتوجها … مدنالته بالشعر المقيم المقعد
كن رمزها ان شئت او كن لغزها ان التسامي شيمة المستجد
اسم تنازعنا البقاء وتنثني … بعد الفناء جريبة صفر اليد
تهوي النجوم ومصر رابضة على … افق الخلود سميرة للفرقد

٥ ـ وديع فلسطين زين الكاتبين :

زودت اقلامي بحبر عسجدي … وعزمت اكتب ما يليق بسيدي
هذا (الوديع) اعوزني بجودة … هي ثروة شغلت عقول الحسد
قسمتها ، واخذت احلف باسمها انبي لها ؛ ما دام امري في يدي
منها تعلمت القناعة والرضى … بمدائح مهموسة في المسجد
جافيت اضدادا كوتهم نساره … لم اجنف نقادا بسراء المقصد
هذا (المقفع) عالم مترفع … ان تقرب الانوار منه يبعد
عن (الرقابة) لاحقته فقصرت … كالسلحفاة وراء ظبي اغيد
والاقبعون يقلدون بيانه … شتان بين مجدد ومقلد
اعطى سعيدا كاما اعطى سيدي … منا وسلوى في الصعيد الاجرد
واستمطر الادب الرفيع جواهرا … يزدان اطرفها بمجد الاتلد
ما عاقه ما عاقني من حطة … هدامة ؛ فضحت حقوق الجحد
شلت يد الجاني علي فما دنا … حتى انحنى وانهار ؛ لو لم يسند

يا وارد النيل النبيل الا ترى … شبح الردى في موقف المترصد
نوبات يعولني وقد بلغ الزبى … سقمي ، وخارت عزمة المتجلد
لو كان جسمي مثل خصمي جلودا … لغلبت لكني عديم التجلد
ما زلت في عشق الحياة مصعرا … عيني في المعشوق البعيد الامرد
يوم التقينا برهة في ربعه … ثم افترقنا ، آسيا عن اصيد
فاذا القريب الى القريب مقرب … واذا المراسل بالمراسل يقتدي
ان جاءه يوحي رذاذا ، جاءني … بالغيث مدرارا على مستوقدي
لا فرق بين ربيعه وشتائه … فصل النتاج لديه شبه مؤبد
اشواقنا عبر السنين تكللت … بعد البراعم بالقطاف الاجود
نحن الغصون يبيسة اوراقنا … لكن في اعوادنا اللب الندي

٦ ـ اديب العراق جعفر الخليلي :

سل في العراق عن ارخاني وقل لمن عنهم (...) عد بنا (وتبغدد)

لبنان آلى ان يدمر بيته ... ويبيح للجاني دم المتبلد
دعه يقتل اهله باهيله ... واسلم براسك فهو اغلى مسند
كم بن دجلة والفرات مسهدا ... قلقا ، كان فؤاده في موقد
ان لم تمد ؟ فالجو ليس بمبرق ... في غيبة الحادي ، وليس بمرعد

. . . .

٧ ـ حكاية الحال مع الإبتهال :

اني لاعجب كيف احيا نازحا ... عن موطني مستعصما بالمحتد
قومي هنالك لا تبش وجوههم ... وقلوبهم للغائب المتودد

لا يذكرون وليتهم الا متى ... قراوا اسمه وسط الاطار الاسود
غاوون ، يجترون صيحات القطا ... لاهون عن اغرودة المتغرد
صوبت يوم سكرت سهمي نحوهم وردبته نحوي كاني في دد
يابى اباي لن اكون خصيمهم ... الحر ياتف من خصام الاعبد

يا رب هبني راحة روحية ... طال السهاد ، وعيل صبر المرقد
وسمت في عمري الى ان ضاق بي ... جلدي ، وادماني حزام المقعد
اخفيت وجهي عن عيون صحابتي ... حذر الشماتة ان بكاني عودي
الدهر عاداني فلم احفل به ... اني نجيك ، رغم انف المعتدي
انجنت (يونان) الغريق وها انا ... اهوي امامك مثله ـ كن منجدي

---

(١) الشاعر الدكتور اديب صعب نجل الاستاذ وليم .

(٢) الاستاذ عبد اللطيف اليونس المتطوع الوحيد لتسفيه المتطاولين على شعر المهجر .

(٣) المبرز في الكتابة والخطابة من ادب المهاجرين .

(٤) المصطاف الوحيد في سوق الغرب ، يحتكر الفندق الكبير بلا شريك ولا سمير .

باريس في تموز ١٩٧٨ ... جورج صيدح



احمد حسين الطماوي

جانب آخر من مؤسس النحو العربي ابو الأسود الدؤلي شاعراً

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

ابو الاسود الدؤلي مؤسس النحو العربي ، كان شاعراً إيضا ، وقد اقبل على شعره الشداة والمغنون مثل علوية وابراهيم الموصلي وعريب فدخلت الى قلوب الناس منه رقة ، والى نفوسهم لطافة ، واستشهد بأبياته سيبويه في « الكتاب » وابن منظور في « لسان العرب » دليلا على فصاحة اللفظ وصحة اللغة ، وصارت ابيات له امثالا ترددها الشعوب والاجيال ، وتدونها كتب الامثال لتنبه بها النفوس اللاهية ، وتذكر عن طريقها العقول الساهية ، وحرص الرواة على رواية شعره فتناقلوه واقتطفوا منه امثلة احتجوا بها في كثير من القضايا والموضوعات التي عرضوا لها ، وراوا في اثباته نفعا وفائدة ، ونبه الكتاب القدامى على شاعريته وتقدمه فقال عنه الجاحظ في « البخلاء » : « كان حكيما اديبا » واشار إليه الآمدي قائلا « كان حليما وحازما وشاعرا متقنا للمعاني » وإشاد به ابن قتيبة فقال « كان شاعرا مجيدا » .

التعريف به

هو ظالم بن عمرو بن سفيان كما يقول ابن سلام وابن حنبل وابن معين وغيرهم ، وهو عمرو بن ظالم كما يقول دعبل وعمر بن شبه (١) . ولكن الذائع في كتب الادب ان إسمه ظالم بن عمرو ، إما الدؤلي فقد عرض له النسابون فاورد الإمام ابو بكر الهمداني في كتابه « عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب » قولا ليونس جاء فيه « ان الدول لامرأة من بني كنانة وهم رهط ابي الاسود » وقال ابو علي بن غسان : الدولي منسوب الى دئل حي من كنانة ، وتناوله اللغويون ايضا بالايضاح قال المبرد « الدؤلي بضم الدال وفتح الهمزة من الدئل بضم الدال وكسر الهمزة ، والدئل : دابة، وامتنعوا ان يقولوا ابو الاسود الدئلي لئلا يوالوا بين الكسرات فقالوا الدؤلي ابو قالوا في النمر النمري » (٢) .

وينسب تأسيس النحو العربي له في اغلب الروايات، وبه ائتم النحاة ، وان كانت هناك اخبار تتضمن ان عليا هو الذي دفع الى ابي الاسود ورقة وقسم له فيها انواع الكلام .

عده الجاحظ في كتابه « البرصان والعرجان والعميان والحولان » في « العرجان وفي مفاليج الاشراف.. ويعد في البخل والبخلاء » وقال عنه ياقوت في معجم الادباء انه « من مشاهير البخلاء » ويخيل الينا أن من يلتقط الروايات التي تروى عن بخل إبي الاسود لا يسلكه في مسالك البخلاء ، فقد اورد الجاحظ في « البخلاء » نصيحة ابي الاسود لابنه وهي « اذا بسط الله لك في الرزق فابسط ، واذا قبض فاقبض ، ولا تجاود الله فان الله اجود منك » واثبت الجاحظ ايضا قول ابي الاسود « ليس من العز أن تتعرض للبذل ، ولا من الكرم أن تستدعي اللوم» وهذه الاقوال المنسوبة إليه لا تدل على بخله بقدر ما تشير الى حكمته العالية ، وحنكته في الحياة ، ودعوته الى التوازن ، وعدم تغليب جانب على جانب الا بما يقتضي الامر ، وتاثره واضح بالآية القرآنية الواردة في (سورة الاسراء) وتدل هذه الروايات ايضا على نضج الشخصية ، والاقتدار على معالجة الامور ، وحسن السياسة ، ورمز الكفاية ، وتامله لمواكب الحياة ، واستفاضة مشاهد الدنيا امامه يقول :

اذا المشكلات تصدين لي ... كشفت حقائقها بالنظر

ويمكننا القول ان ابا الاسود من الداعين الى الاعتدال ليس في البخل والكرم فحسب بل في الحب والكراهية ايضا يقول :

واحبب اذا احببت حبا مقاربا ... فانك لا تدري متى انت نازع
وابغض اذا ابغضت بغضا مقاربا ... فانك لا تدري متى انت راجع(٢)

واننا نقرا مثل هذه الكلمات والاشعار لا باعتبارها معبرة عن ذات معينة ، بل على انها ملاحظات موجهة من النوع العام ، يتفق على صحتها ويقدرها كثيرون .

وعلى ذلك فمن الاسراف في القول اعتبار الدؤلي مبخلا ، بل ان ابا حيان التوحيدي يروي في « الامتاع والمؤانسة » ما يدل على كرمه وعطفه قال « مر مسكين بابي

الاسود ليلا وهو ينادي انا جائع فادخله واطعمه حتى شبع ... » ويفخر ابو الاسود بكرمه يقول :

السمت تراثي والتكرم شيمتي وكل امرىء جسار على ما تعودا

وتحمل الينا اخباره انه لم يكن رخوا لينا يتغاضى عن قول يؤذي شعوره ، وانما كان يفحم من يتفحش في التهكم عليه ويصف لسانه بقوله :

فان لساني ليس اهون وقعه واصغر آثارا من النحت بالفاس

والدؤلي من الشعراء المخضرمين ، فقد ولد في الجاهلية وقضى اكثر سنوات عمره في الاسلام وروى عن عمر بن الخطاب وعن ابن عباس ، وقد استعمله علي كرم الله وجهه على قضاء البصرة فكان من وجوه اتباعه ويروي الاخباريون انه قاتل الى جانب علي في « الجمل » و« صفين » ويثبت الطبري في تاريخه (٤) رسالتين متبادلتين بينه والامام علي ، وقال عنه الامام « ادى الامانة ودل على الحق » واختلف في سنة موته فقال ياقوت في معجم الادباء انه مات « سنة سبع وستين على الاصح » وفي المزهر للسيوطي انه توفي في الطاعون الجارف سنة تسع وستين كما قال ذلك غيره وهو القول الراجح ، ودفن بالبصرة بعد بلوغه سن الخامسة والثمانين .

نثـــره

واذا كانت شهرة الدؤلي ذاعت باعتباره مؤسس علم النحو ، فالواقع ان له بعض الآثار الفكرية الاخرى نثرية وشعرية . ومن نثره رسائل وخطب ومواعظ لا يضمها كتاب ولكنها متناثرة في مختلف كتب الادب والتاريخ وهذا التراث النثري يكشف عن فصاحته ، وقدرته على حبوك الكلام ، جاء في البيان والتبيين ان ابا الاسود وصف العمامة بقوله : « جنة من الحر ، ومدفأة من القر ، ووقار في الندى ، وواقية من الاحداث ، وزيادة في القامة ، وهي تعد عادة من عادات العرب » وقال عن رجل كان يسأله ولاية : « هو ما علمته اهيس اليس الد ملحس ، ان اعطي انتهر ، وان سئل ازر » (٥) وتتناثر مثل هذه الاقوال التي فيها تنقيح وتجويد واحكام ، لادراك المعنى المراد باللفظ المختار ، مع الايجاز المفيد ، ومراعاة التنسيق والتجنيس والمزاوجة في الكلام . فتبدو العبارة جزلة موسيقية ، وتجري مجرى الحكم ، وتسير مع الايام مثلا يردد ، ومثالا يحتذى .

ديوانـــه

اما تراثه الشعري وهو موضوع الحديث ، فقد جمعه ابن جني ، وظل مخطوطا حتى ظهر في شكل ديوان حققه الاستاذ عبد الكريم الدجيلي عام ١٩٥٤ وحققه مرة اخرى الشيخ محمد حسن آل يس عام ١٩٦٤ .

واننا اذا استأنسنا بآراء القدماء ونحن نطالع ديوانه نجد غلوا في هذه الاقوال ، فكيف « كان ديوانه محل اهتمام علماء الادب على مر العصور » على حد قول ابن خلكان وهو على هذه الصورة وعبارة ابن خلكان هذه يمكن ان تصح اذا افترضنا ان ديوانه قد فقد منه الكثير ، ويؤيد هذا الفرض اننا نجد بعض الابيات من قصيدة لابي الاسود في احد كتب الادب القديمة وتكملتها في كتاب اخر ، ويدعم هذا الفرض إن التدوين في عصر الدؤلي كان نادرا ، فلم يدون شعره ولم يصل الينا جميعه ، وقد عاش ابو الاسود في القرن الاول الهجري الذي شهد تحول الدنيا وتغيرها فهل يعقل انه لم يشارك بشعره في هذه الاحداث .

ومن ينظر في ديوانه على ما هو عليه يجد ان قصائد الشاعر لها صلة بحياته وانها تناولت اغراض الشعر القديمة من غزل ووصف ومديح ورثاء وخلافه .

والديوان المجموع ليس كله من نظم ابي الاسود ، فلم تتفق جميع الروايات على انه من قوله ، وذلك لان بعض القصائد تنسب له وتنسب لغيره من الشعراء ومن هذا قصيدة « قد كنت اغرع للبيضاء ابصرها .. » ينسبها بعض الرواة الى انس بن ابي اياس الدؤلي ، والقصيدة التي قيل فيها : « لحى الإله مولى السوء لا انت راغبه ... » وقصيدة « من مبلغ عني خليلي مالكا ... » تنسبها بعض الروايات الى ابي الاسود الكناني ، وغير ذلك وربما كان تشابه الاسماء هو الذي اوقع القدماء والنساخ في هذا الخلط ، ويجب ان يفطن دارسو شعر ابي الاسود الدؤلي الى مثل هذه القصائد ويلزم التنبيه على قصيدة هامة قيلت في رثاء الامام علي مطلعها :

الا ابلغ معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامتينا

فهذه القصيدة تنسب الى ابي الاسود وتنسب ايضا الى ام الهيثم بنت العريان النخعية ، وقد درسها الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني في كتابه « ابي الاسود الدؤلي ونشأة النحو العربي » على انها من نظم ابي الاسود ، وكان الامر يقتضي منه ان يقوم بتحقيق هذا النص واقامة الادلة الواضحة ، والبراهين القاطعة على انه من نظمه ، قبل ان يقوم بضم هذه القصيدة الى قصائده الاخرى التي سلمت له ويقوم الشاعر من خلالها .

وكثير من قصائد الديوان لا تطالعك بشاعرية دفاقة ، ولا بصور باسقة لافتة للانتباه فمثلا قوله : « واحبب اذا احببت حبا مقاربا .. » الذي سقناه نجده من الناحية الفنية يخلو من الموسيقى والتطريب ، اي ان مثل هذا الشعر فيه المضمون ، وليس له الشكل ، لا يعدم السبك ، ولكن ليس فيه ابداع التنغيم ، وحسن الترسيم فهو على حالته هذه يلائم العقول ، ولا يلامس القلوب .

وأبو الاسود لم يفارق طريقة السابقين عليه في النظم وفي استخدام البيان والبديع والشعر الجيد الفني لا يقاس بما يشتمل عليه من السجع والكناية والطباق ... ، ولكن بما يحتوي من المعاني المبتدعة ، والصور المتحركة والخيال المبتكر وروعة التعبير الذي يمليه الالهام ، حتى يوافق الافهام ، ويلائم الاذواق فتشف بفعله النفوس ، وتشع من تأثيره العقول .

وهناك ظاهرة طرأت على كثير من القصائد التي نظمت بعد ظهور الاسلام ، واختلاط ابناء الشعوب الاخرى

التي فتحها المسلمون بالعرب، تلك هي رقة التعبير الشعري، وسهولة تذوقه ، وقرب معانيه ، وتخلصه من اللفظ الغريب ، ومجاراته للغة الناس في حياتهم اليومية ، حتى صار غناء ينشده المغنون . وقد نظم شاعرنا عددا من القصائد القصار التي اتسمت بهذا الطابع مما جعل المنشدين يقبلون عليها ، ويتغنون بها مثل قصيدة « بليت بصاحب ان ادن شبرا .. » و «لا ترسلن رسالة مشهورة» و « ابى القلب الا ام عوف وحبها .. » (٦) التي كان يغنيها علوية وعدها الاصفهاني من الاصوات المئة المختارة في كتاب الإغاني .

ثقافتـــه

وهذه المادة الشعرية المنسوبة اليه تكشف عن نوع ثقافته ، فقد فهم أساليب القرآن واقتبس منها ، وهذا هو الجديد في شعره ، وحفظ ما تيسر له أن يحفظ من تراث الجاهليين الشعر والحكم والامثال ، وافاد من كل ذلك وصقل المعاني التي استقاها من هذه الفنون ، وصاغها باسلوبه ، وخلع عليها من شخصيته ، وابداع قريحته حتى اتسمت بطابعه ، وهو مثل غيره من الشعراء الذين يجمعون بين الاستقلال والاصالة ، والاقتباس والاستعارة ومن الابيات التي شاعت فيها أمثال العرب القديمة قوله :

فلا تك مثل التي استخرجت ... بأظلافها مدية او بليهما

فهو يشير هنا الى المثل القائل « حتفها تحمل ضأن باظلافها » .

وقوله :

وزيد مائت كمد الحبارى ... اذا غابت لطيفة او عليم

يتضمن المثل القائل : « اكمد من حباري » (٧) .

وقوله :

فان اعف يوما عن ذنوب اتيتها ... فان العصا كانت لمثلي تقرع

يشير الى المثل « إن العصا قرعت لذي الحلم » وقد قال المتلمس :

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وما علم الانسان الا ليعلما

وقوله :

العبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه المقالة

يشتمل على المثل « الحر تكفيه الاشارة » وينسب هذا البيت ايضا الى الشاعر الجاهلي ابن دؤاد وهذا المعنى ورد في ابيات كثيرة لعدة شعراء فينسب الى يزيد ابن مفزع الحميري :

العبد يضرب بالعصا ... والحر تكفيه الملامه

كما ينسب إلى الصلتان الفهمي :

العبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه الاشاره

واذا كان شعره قد تضمن امثال العرب فانه ضم ايضا بعض صور الجاهليين وخاصة في وصف النساء ، فالمراة ضامرة البطن ، ضخمة العجيزة ، ثقيلة الاوراك ، « مهفهفة الاعلى رداح المؤخر » وتمشي ببطء مثل « مشي الكودن المتحبس » وهذا ومثله هو اثر القديم الجاهلي في ديوانه اما اثر الاسلام فنجده واضحا في معانيه وصياغته ومن هذا قوله :

اذا كنت معنيا بامر تريده ... فما للمضاء والتوكل من مثل

مقتبس من القرآن الكريم راجع سورة (آل عمران)

غـزول الزوج

وعندما نتحدث عن غزل ابي الاسود فاننا سنتحدث عن نوع من الغزل لم يلق عناية وافية من النقاد ، ولم يخصص الدارسون له الصفحات والابواب ، اعني غزل الزوج في زوجه في حين اهتموا بغزل الشعراء في العشيقات والقيان والغلمان ، وربما يرجع هذا الى ان « صورة الزوج عند كثيرين هو من يتمالك ولا يتهالك ، ويستوي ولا يتخايل ، ويكف عواطفه قبل ان تجمح ، فلا يظهر غراما او التياعا ، او هو دائم الاحتشام والتوقير يتحرج في ذكر حليلته وهيامه بها ، وخوفه من صدها ، واثر هواها في نفسه ، ولكن طبيعة البشر ليست على حالة واحدة ، فالقلب تلب ، وللزوج من يقظة القلب ، وقوة الحس ، ما للعاشق الراغب في لذة الوصال ، وسرور اللقاء في كثير من الاحيان » .

وفي ديوان الغزل العربي نجد صورا كثيرة تصور لنا الازواج مع الحليلات ـ في حالتي البين والاقامة ـ ونستطيع ان نقرأ غزلا في الزوج للابيرد بن هرثمة مع الفغماء ، وابي الفرافصة وحريث بن سليمة وابي العتاهية وخزر بن لودان والعرجي وغيرهم ـ والدؤلي زوج شاعر يصور لنا في بعض قصائده الغزلية هواه وجواه مع زوجاته يقول في زوجته فاطمة بنت دهي :

افاطم مهلا بعض هذا التعبس ... وان كان منك الجد فالصرم مؤنسي

تنعم في لما رأتني احبها ... كذي نعمة لم يبنها غير ابؤسي

فان تنقضي العهد الذي كان بيننا ... وتلوي بنصحه في وده المتحلس

فاني ـ فلا يغررك مني تجملي ـ ... لا سلي البعاد بالبعاد المكنس

فالشاعر يصور لنا تعبس زوجته ومعاملتها الجدية معه ، ونخشى نقض العهد الذي كان بينهما ، ويعبر عن حبه وبلواه ، فلا نجد في هواه راحة ، حيث يتضمن تعبيره الشعري الصرم والصد من جهتها ، والود المقيم ورعاية الحب والابقاء على العهد من جهته ، ويتمنى لو اصفته المحبة وحققت هواتفه النفسية .

وجنون الرجل بالمراة ليس مقصورا على العشاق المماميد ، ولكنه ايضا يكون عند البعل مع القرينة في بعض الاحيان ، ولا ندري ماذا فعلت فاطمة في نفس هذا الشيخ الشاعر حتى جعلته يجن بها ويصرح بذلك :

وقد غرها مني على الشيب والبلى ... جنوني بها ، جنت حيالي وجنت

وفي هذا البيت اجابة على السؤال الذي اثرناه ، فالرجل يعترف بأن الشيخوخة ادركته وبفتور همته وشدته والمراة هي . هي تميل الى الشباب ، فهو اجدر بالنظر والحنان ، وتستريح إلى الجميل ، فهو اخلق بتساقي الرضاب ، فلا جرم نرى فاطمة تجفو ابا الاسود ، وتزور عنه حتى تجعل اليأس يبلغ الى قلبه ، فيشكو ويسترسل في الشكوى .

وقبل ان ننتقل الى شيء اخر يجب ان نحقق ونصحح ما قاله الدكتور الدجني في كتابه عن أبي الاسود ص ٣٤ « .. يتغزل في حبيبة له تدعى فاطمة . ولكننا لم نجد اثناء دراستنا لسيرته زوجة او حبيبة له بهذا الاسم » .

وقد رجعنا الى الاغاني جـ ١٢ ط دار الكتب المصرية فاذا بالاصفهاني يخبرنا ان فاطمة بنت دعي كانت زوجته من عبد القيس وكانت شابة جميلة والتوت على ابي الاسود عندما اسن فقال فيها هذا الشعر ثم اثبت قصيدة فيها هذا البيت الذي يؤكد انها حليلته وليست حبيبته :

واني اذا شئت على حليلتي   ذهلت ولم احنن اذا هي حنت

والتلون والتقلب والتنكر ليست من خصال الخليلة فقط بل هي من خصال الحليلة ايضا يقول ابو الاسود في زوجته ام سكن :

الا تلك عرسي ام سكن تنكرت   خلائقها لي والخطوب تقلب
تبرض احيانا وازعم انها   تجود امرأ عنسبه تتقرب

بل يصور لنا زوجته وهي تتجسس عليه يقول :

تجسس عني امسكن واهون الـ   شكاة شقاء فتنة المتجسس

وللشاعر قصائد غزلية قليلة في غير زوجاته ، ولكن من ينظر في غزل الدؤلي هذا يجد انه من النوع الطيب اللطيف ، فالشاعر لم يتهتك ، ولم يتبذل ، واحتفظ بعذاره ، وعمل على ترك التجريح .

فلا تعثر على الاقذاع او الالفاظ التي تخدش الخلق . وقصائد ابي الاسود في زوجاته تعتبر احدى الامثلة في ديوان العرب الذي ينتقل فيه الغزل من الخليلة الى القرينة .

الحكمة

ومن الاغراض الشعرية الاخرى في ديوان الدؤلي ، شعر الحكمة ، والحكمة هي كلام بين موجز ، جامع متميز له دلالة ، وقعه على النفس بالغ الاثر ، يجمل ترديده وتكريره في مناسباته ، والحكمة ظاهرة شائعة في شعر العرب القديم ، وتتجلى في قصائدهم بنصيب ملحوظ ، فاستخلاص المثل من الحياة العادية والنبوءة بالمستقبل سمة من سمات شعرنا ، ولان الشعر كان اكبر الفنون القولية عند العرب ، لذلك كثرت الامثال والحكم فيه ، حيث تسلل في ابياتهم بطريقة مباشرة او غير مباشرة . مما يشير الى ولعهم بتلخيص الاحداث العابرة ، في كلمات قليلة معبرة ، او اجمال الوقائع العارضة في الفاظ منسقة باقية ، وابو الاسود من هؤلاء العرب الذين بثيع الحكمة في شعرهم ويجري بعض كلامه مجرى المثل الذي يقول :

المرء يسعى ثم يدرك مجده   حتى يزين بالذي لم يفعل
وترى الشقي اذا تكامل عيبه   يرمى ويقرف بالذي لم يعمل

ففي هذين البيتين يكشف عن طبع الانسان عندما يغالي في تقدير الشخوص ، فهناك من يرفع من شأنه حتى الذرى فينسب اليه من الامجاد الاثيلة ما لم يفعله ، وهناك من يظلم حتى الاسفاف فيتهم بما لم يأته ، ويشبه البيت الثاني مثل نردده في مصر يقول « البقرة عندما تقع تكثر سكاكينها » . ويحذر من تسرب اليأس الى النفس بقوله :

فلا تشعرن النفس يأسا فانما   يعيش بجد حازم وبليد

واذا كان أبو الاسود قد حذرنا من اليأس في البيت السابق ، فانه في هذا البيت يورد لنا مزية فيه ، فيرى انه يصون الانسان ولا يعرضه للطمع اي يبين لنا اثر اليأس في السلوك الاخلاقي يقول :

فاجمعت يأسا لا لبانة بعده   ولليأس ادنى للعفاف من الطمع

ولكننا نرى غير ما رأى ، فاليأس عجز وقصور ، ذلك ان اليأس تخبو اشعاعاته الذهنية ، وتجدب موارده النفسية ، ويفقد القدرة على التصور والادراك ، ويفتر احساسه بالحياة وحماسه لها ، فيظل قريبا من الفناء لان امكاناته تكون قد نضبت .

وتجري الحكمة عند ابي الاسود مجرى النصيحة كما قال ينصح ابنته :

ولا تكثري الشكرى فتذهب بالهوى   ويأباك قلبي والقلوب تقلب

مذهبه في الهجاء

فاذا انتقلنا الى هجاء ابي الاسود الفيناه يخلو من الطعن واللعن ، فلا يقدح في اعراض الناس ، ويقذفهم بقوارص الكلام ، ويمين خساسة أوضاعهم ، وكان بعض الشعراء يتعمد الهجاء للارهاب قال دعبل : « وجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم الا على الرهبة ، ولا يبالي بالشاعر وان كان مجيدا اذا لم يخف شره ... » وكان الحطيئة ــ وهو معاصر لأبي الاسود ــ شديد الهجاء ، ولم يسلم من هجائه حتى امه وزوجته واولاده واقربائه. ولكن أبا الاسود ارطب لسانا ، واروح قلبا ، وهو من جماعة الشعراء الذين يانفون من الهجاء مثل عبده بن الطبيب الذي كان يرى في ترك الهجاء « مروءة وشرفا » ، ويتعففون عن اللدد في الخصام ، ولا نشك ان مبادىء الاسلام لها اكبر الاثر في ذلك ، وقد جاء في الخبر ان الرسول الكريم سئل عن معنى قوله تعالى « خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين » فقال « جمع في هذه الآية مكارم الاخلاق وهي سبعة ، عفوك عمن ظلمك واعطاء من حرمك ، وصلتك لمن قطعك ، واحسانك الى من اساء اليك ، ونصيحتك لمن غشك ، واستغفارك لمن اغتابك ، وحلمك عمن اغضبك » (رسائل اخوان الصفاء جـ ١) وقد اعتنق ابو الاسود هذه المبادىء واهتدى بهديها ، ومما يدعم ذلك انه يبرر عدم فحشه في الهجاء بقوله :

واني ليثنيني عن الجهل والخنى   وعن شتم ذي القربى خلائق اربع
حياء واسلام وتقيا وانني   كريم ومثلي قد يضر وينفع

ويدور هجاء ابي الاسود حول جيرانه الذين كانوا يصيبونه ببعض السوء او في هجاء بعض الولاة مثل الحصين وابن عامر والي معاوية على البصرة وقد اشتمل ديوانه على اشعار غير قليلة بسبب هذه الخصومات ولكن هذا الهجاء يقترب من الشكوى والعتاب يقول في جار له :

بليت بصاحب ان ادن شبرا   يزدني في مباعدة ذراعا
وان امدد له في الوصل ذرعي   يزدني فوق قيس الذرع باعا

ابت نفسي له الا اتباعـــا   وتـــابى نفســه الا امتناعـــا
كلانـــا جاهـــد ادنـــو وينأى   فذلك ما استطعــت وما استطاعا

فهو هنا ينعى مفارقة الاخوان والبعد عن الالف ، ولا يبغي خـــران الجار ، حريص على التقـــارب والتوادد ، متمسك بهذه الاواصر ، فلا يماكر ولا يناكر ، ويعاتب جاره لعل العتاب يلين قلبه ، ويميله عن العقوق والهجر ، والملال والصرم ، فيؤثر الود ، ويرعى للجار حقه . ومن يتأمـــل هذه الابيات لا يجد الانفعالات القويـــة التي تنعكس على الالفاظ ، ولا يحس بفورة الغضب ، وثورة النفس مما جعل عبارته الشعرية هادئة الايقاع ، وهذا يكشف لنا سماحة نفسه معهذا الجار الجائر ، ولو ان الم النفسي بلغ حدا لا يطاق لتحولت هذه الشكوى الى مسبات ، ولكن الشاعر اكتفى بالقاء تبعات هذه الخصومة على جاره .

ولكن هجاء ابي الاسود لا يخلو من غمز جاره وتعييره بما فيه من عيوب :

وشتـان ما بيني وبينـك انني   على كـل حـال استقيم وتظلع

وفي بعض الاحيـان نجـد الشـاعر يصرح ولا يكني ، ويقصد الى المكاشفة بما في نفسه من عداء :

تعلـم يقينـا انني لك ماقـت   ولي شيمـة تعتابهـا وتريبهـا

التصـــوير

وقصائده الوصفية تشيع فيها روح البداوة ، ولكن شدتنا ابيات وهي من اثمن ما وجدنا في ديوانه ويصور فيها طائرا ساجعا نائحا ، وربما تكون هذه القصيدة هي تعبير الشاعر عن نفسه وهو يصف هذا الطائر الذي يبكي اليفه لان في الابيات زفرات قلب عذبه النوى ، والتهاف عاطفة لم تتجلد على البعاد ، وتتجمل بالصبر ، فتحركت الشاعر وثارت الخواطر على هذا النحو :

وساجع في فروع الايك هيجني   لم ادر لم ناح مما بي ولم سجعا
ابكيا الفه مـــن بعـد فرقته   ام جازعا للنوى من قبـل ان يقعـا
يدعـو حمامتـه والطير هاجعة   فما هجعــت له ليلا ولا هجعا (٩)

الى ان يصور هياج الطائر بعد يأسه من العثور على اليفه بعد ان تقاذفته الريح ، بصور حسية حركية يبدو فيهاالقلق والاضطراب والاستسلام للاقدار ، وتذكرنـــا بتصوير ابن الرومي للاشياء التي كان يعرض لها يقـــول ابو الاسود :

والريح تخفضــه طورا وترفعه   طـورا فمنخفضـا يدعو ومرتفعـا

وهذه الاحساسات التي زخرت بها الابيات ، ووضوح التصوير الفني المؤثر فيها ، وتزايد انفعالاتنا بها في شكـــل متوال ، تأخذ في السمو الى غايتها حتى تولد فينا احساسا مماثلا لما في نفس الشاعر ، ولما عليه حال الطائر . ونحن نعلق على هذه الابيات الرائعة ، لا يعزب عنا ونحن نقرأ ديوانه انه كان دائم الشكوى من بعض زوجاته كما مر بنا عن ام سكن وفاطمة ، وحديثه عن تلونهما معه ، وصدهما عنه مما ملأ نفسه وجدا ، فبث احزانه في سياق قصيدته . فليس يبعيد ان يتذكر نفسه وحالته عندما رأى هـــذا الطائر الساجع الذي يتوقع النوى قبل حدوثـــه فيفزع لذلك ، اليس من حقنا ان نشيد بهذه الابيات ونغدق ثناء على معانيها وصياغتها واخيلتها .

واذا كانت لنا كلمة اخيرة فيديوانـــه بعد ملازمتـــه ومذاكرته ، فاننا نقول ان قصائده جاءتوالتجارب تصحبها والمناسبات توافيها بالمادة الحية ، ونرى فيهـا الصـــور الجاهلية الى جوار الصور الاسلامية ، واذا قلنا في بعض ابياته انها زاهية الالوان ، زيالة المعاني ، مأنوسة الالفاظ ، قلنا في بعضها الاخر انها غائمة تلفها الفاظ حوشية مبهمة، والدؤلي كغيره من الشعراء تجد في شعره ما يروقك فتقرأ وتتأمل ، وترى ما لا يوافق هواك فتقلب الصفحة لتبحث عما يلائم ذوقك .

---

(١) معجم الشعراء للمرزباني .

(٢) عجالة المبتدي للهمداني والزهر للسيوطي .

(٣) هذان البيتان قريبان من بيتي النمر بن تولب العكلي

واحبب حبيبك حبا رويدا   لئـلا يعولـك او تصرمـــا
وابغض بغيضك بغضا رويـــدا   اذا انت حاولـت ان تحكمـا

(انظر مختارات ابن الشجري) .

(٤) تاريخ الطبري جـ ٥ ص ١٤١ ط : المعارف .

(٥) يقال للرجل الشجاع اهيس اليس ، ملحس : حريص .

(٦) يبدو ان تعبير « ابى القلب » شائع فقد روي لقيس بن الملوح قوله « ابى القلب الا حبها عامرية .. » وينسب الى اللهاب العجلي واحيانا الى الجمال بن سلمه بن خذيمة « ابى القلب ان يهوى السدير واهله .. » ويقول كثير عزة « ابى القلب الا ام عمرو .. » ويقـــول المتوكل الليثي « ابى قلبي فيما يهوى سواها ... »

(٧) انظر المستقصى من امثال العرب للزمخشري .

(٨) من مقال لكاتب هذه السطور نشرته الاديب عدد سبتمبر ـ اكتوبر ١٩٧٩ .

(٩) من الاساطير العربية القديمة ان فرخا كان على عهد نوح عليه السلام مات ضيعة وعطشا فما من حمامة الا وهي تبكي عليه وتناديه (لسان العرب مادة هديل) ويصور الشعراء مدى تأثرهم ببكاء الحمام على فروع الشجر وهي تنادي الفها الغائب ، قال عنترة :

افمن بكاء حمامـــة في ايكـــة   ذرفت دموعك فوق ظهر المحمـــل

وقال سليمان بن ابي دباكل :

تبكي الحمامة شجوها فتهيجني   ويروح عـــازب همي المتـــاوب

وانشد بن بري :

ما هاج شوقك من هديل حمامة   تدعـو على فنـن الغصون حمامـا

وقال الاحوص :

وهاج لي الشوق القديم حمامة   على الايـــك بين القريتين تفجـع

وابيات ابي الاسود تدور في جو هذه الاسطورة ويحلق في اطار هذه المعاني ، ويربط فيها بين جواه وجوى الطائر الذي يبكي إلفه .

القاهرة   احمد حسين الطماوي



هكذا عشت حياتي

بقلم العوضي الوكيل

* * *

تقديم

كتبه ولده الاستاذ الدكتور ممدوح الوكيل العوضي الوكيل

* * *

كان العرف قد جرى ، ولا يزال يجري الى جد ما ، على تقديم عظمة العظيم بمقدار تفرده بالتفوق في ميدان من الميادين العلمية أو العملية ، أو الفنية ، وادى ذلك الى اختلاط التعاريف حتى عد بعض جزاري الانسانية ومؤلفي اللغط الفاسد والمضلل من عظماء الانسانية وعباقرتها .

وجاءت الخمسينات والستينات بقفزات علمية واسعة كان لها ابلغ الاثر في تغير القيم والانماط الاجتماعية في الحياة على ظهر هذا الكوكب ، وتعرض كثير من المفاهيم التي كانت تعتبر من الحقائق الثابتة الى التمحيص والاختبار فسقط بعضها او اسقط وثبت بعضها للامتحان فبقي في معجم الاستعمال ، وتطور بعضها الثالث حتى يلائم حاجات العصر ومتطلباته .

وكان من الفئة الثالثة مفهوم العظمة الانسانية ، الذي تطور تعريفه من التفرد والتفوق في ميدان من الميادين ليشمل مدى انسانية هذا العظيم مقدرة ومقومة بمقدار اخلاصه لانسانية الانسان على اي لون ، وفي كل مكان ، بما فيها من عظمة وعلى ما فيها من ضعف ، بغض النظر عن اهمية عمله من الناحية الفنية او الادبية ، وبذلك امكن ان نلفظ جزاري الانسانية ومضلليها من بين زمر العظماء .

وكان آية هذا التغيير في المفاهيم منح الدكتور البرت شويزر ، جائزة نوبل في الطب لغير ما اكتشاف علمي متفرد ، ولكن لانسانيته الفياضة التي جعلته ينفق حياته في خدمة ابناء الانسانية الذين لم يكن لهم من الحظ ما يكفل لهم الرعاية الصحية التي يتلقاها ابناء المجتمعات المتقدمة .

وبين صفحات هذا الكتاب يعرض المؤلف الوجه الانساني لحياته ، التي جعلت منه شاعرا عظيما ـ حسب التعريف القديم ، وانسانا جم الانسانية ، وهو الذي تقسو عليه الحياة فيعتريه الياس ، ثم هو الذي يحاول السخرية من سنيها فيكون اول من تسخر منه السنون وهو الذي يصاحب اصحاب الشان ثم يخطيء ويندم وهو الذي يقع فريسة للاغراء والشباب ثم يندم فيستقيم وهو ـ ان اردنا الدقة والاختصار ـ الانسان بكل محاسنه ومعايبه وهو ـ من خلال لمحات حياته الخصبة الوهوب يعرض لمحات من تاريخ وطنه التي اثرت وتفاعلت مع انسانيته فتشكلت حياته على النحو الذي كان .

ويصعب علي ان اقدم عظمته كانسان لسببين اولهما انني ابنه الذي قام بتشكيل البناء المنطقي الاساسي لقدراتي العقلية الناقدة وثانيهما انني جزء من تلك الصورة وهي حياته وظروفه سواء من حيث الزمان او من حيث المكان ، ومن اجل هذا يسوغ لي ان اقدم هذا العمل واضعه بين يدي القارىء ثم اترك لابناء الاجيال القادمة الحكم على عظمة المؤلف مستعينين بما بدا في صفحات هذا الكتاب من انسانيته المعطاء ـ دكتور ممدوح الوكيل العوضي الوكيل . امريكا وسكنسون ٢٨ سبتمبر ١٩٧٩

هكذا عشت حياتي

اكتب هذه السطور لا لاسجل بها جوانب من حياتي، فان حياتي لم تكن يوما من الاهمية ، بالنسبة لي وللناس، بالمكان الذي يبحث عنه مسجلو السير ، وكاتبو التواريخ، ولكنني رأيت في حياتي لمحات مليئة بالتناقضات مفعمة بالغرائب فقد عشت حياتي تحت ظروف اجتماعية ووظيفية وربما سياسية ربما تستطيع ان تصور جوانب من وطني في مختلف ظروفه وحالاته .

الميلاد وقع في ٩ ابريل ١٩١٥ ولكن القابلة سجلته في دفاتر العمدة يوم ١١ ابريل وقد عاشت هذه القابلة وقابلتها وسالتها عن السبب فقالت انها ارجات قيدي ريثما يتجمع لها بعض المواليد لتذهب لقيدهم دفعة واحدة .

ولدت في قرية كثيرة العدد تشبه ان تكون مدينة هي قرية دماص بمديرية الدقهلية في اسرة لم تكن ذات ثراء ، وانما اصدق ما توصف به انها اسرة مستورة الحال لم يعضها الفقر بنابه ولا الح عليها البؤس فافسد قيمها ومفاهيم حياتها كان الوالد تاجرا يكسب الكثير وينفق الاكثر ، لا سفها ـ وانما كان رجلا دينا تقيا ، اذكر انه كان

ذكريات

ارقص النـاي والوتـر ... واحي مـا فـات مـن ذكر
أعـد اللحـن ربمـا ... يبعث اللحن ما دثر
وبـح أمسي كانـه ... صـور زاحمت صور
لونهـا الـورد يانعـا ... تملأ السمـع والبصر
يجف القلب خافقـا ... كلمـا طيفهـا خطـر
يعكس النـور ظلهـا ... هالـة الشمس والقمـر
كم ليـال بهـا مضت ... وامـان لهـا غـرر
ونشيد مـن الهـوى ... انطق العـود والحجر
بهجة العمـر والنظـر ... وحبيـب فديتـه
وتـلال عهدتهـا ... مرتـع الانس والسمـر
وبـح قلبي تاججـت ... نـار وجد بـه استعر
ذكـر الامـس ليتـه ... ليتهـا عـادت الذكر

جنيف ـ سويسره — احمد عبد الجبار

يحب الفقراء ويعطف عليهم ، ولا استطيع ان انسى انه آخى بيني وبين طفلين يتيمين في القرية هما احمد واخته دلال ، ولما رايت شدة اهتمامه بهما سالته : من هـذان ؟ فقال لي على الفور انهما اخوك واختك فحزنت اشد الحزن لهذا الجواب ولما سالته : واين آبواهما ؟ فقال انهما لقيا الله الكريم ، فحللت محل ابيهما وحلت امك محل امهمـا ولكنهما ـ فقط ـ يعيشان وينزلان في منزلهما القديم وكان كل من الطفلين يخاطب والدي بقوله يا ابي ، وكان يوم ايتاء الزكاة كل عام في منزلنا يوما هاما جدا ، وكان كل عام يتم بعد حصاد القمح في الصيف ، اقول كان يوما هامـا فالمكاييل تكيل لكل نصيبه واليها جانب من النقود الفضية، الصغيرة وفي نحو العاشرة من حياتي رايت النقود الورقية لاول مرة .

وكانت الام ـ رحمها الله تعالى ـ عذبة الصوت فكانت تغني لي ولاخوتي غناء رقيقا عذبا ، ولاحظت آن جميـع اغانيها كان من الكلام الموزون المقفى ، حقيقة كانت لا تتحد القوافي في اغانيها ، ولكن القوافي كانت تخرج غالبا من مخرج صوتي واحد كان تتحد في غلام وكتاب ونحوهما .

ودخلت كتاب القرية في الرابعة من سني حياتي ، وكان الكتاب في حجرة قديمة بجانب ضريح من [illegible] واحد من الصالحين ، وكان صاحبه هو الشيخ محمـد ابو القاسم الذي كان الناس ؛ وانا واحد منهم يتبركـون بلثم يده كلما قابلوه ، وكان بالكتاب بئر قريبة الغور ، وكان كل تلاميذ الكتاب يجلسون على الحصير ، ولكني رايت تكريما لنفسي واعزازا لها ان اقتطع قطعة من بساط احمر في بيتنا كانت مربعة الشكل ، واخذتها معي الى الكتاب ، وجلست عليها وكانت هذه القطعة من البساط تضيع احيانا او تسرق ، فاستجد بدلا منها قطعة اخرى وتكرر هـذا الامر مني حتى ذاب البساط الكبير الفخم على ارض كتاب الشيخ ابي القاسم ، وذات شتاء هطل مطر غزير بالقرية ، وهي من قرى شمال الدلتا المعروفة بكثرة الامطار في الشتاء ، وكان معظم بيوت القرية من اللبن وكذلك كتاب الشيخ ابي القاسم فذابت ـ تحت وطاة المطر الغزير جميع جدران الكتاب ، ولما ذهبنا في الصباح المبكر الى الكتاب ـ كما كنا نفعل عادة وجدناه قد انهدم كله ولم يبق منـه جدار واحد قائما ، ولا تسل عن فرحتي وزملائي بهـذا اليوم السعيد ، وقد رايت الشيخ ابا القاسم عند الكتاب المنهدم يجلس وحده حزينا كئيبا يبكي بدموع [illegible] [illegible] ، فاستبدلت كتابا بكتاب ، وذهبت الى كتاب الشيخ [illegible] عريشة وهو في عرف الناس ارقى من كتاب الشيخ ابي القاسم وابعد صيتا . والى اللقاء في حديث تال . والسلام.

[illegible]ر الجديدة ـ ١٥ شارع النزهة — العوضي الوكيل

لغة الجنة

عش كما تهوى ، ودعني في سبيلي … خلق الانسان حرا يا خليلي
لا تقل اني دخيل بينكم … ربما شف دخيل عن اصيل
مرض الحقد وبيل … فقنا … يا الهي خطر الداء الوبيل
لا تقل اني عميل مارق … كم ولي هو شر من عميل
شهداء الهجر فينا كثرة … والذين استشهدوا دون القليل
لم يزل ثوبي نقيا ناصعا … طاهر الاردان من قال وقيل
لا تقل اني خليع في الهوى … شط ما بين خليع وقتيل
خذ دروس المجد عن مستهتر … واصول الذوق عن جلف ثقيل
جمعتنا مهنة الحرف فهل … يوجب الحرف انتقاصا من زميل
ذل من عق – لامر – اهله … اي حر يرتضي عيش الذليل
ان تشرق او اغرب ، اننا … من رعايا الفن ، من خير رعيل
امي الرحمة ، والحب ابي … وضميري اينما سرت دليلي
يستوي الفقر بشرعي والغنى … وعظيم القدر عندي كالضئيل
قل لمن يطربه هرج الوغى … وصليل السيف.. اشتم بالصليل
ان اذني تتاذى بهما … فداويها بموسيقى الهديل
عثرت رجلي ، فلم اعبأ بها … وكبا فكري فاعولي عويلي
قد تعاليت عن الدنيا ، فيا … طالب الدنيا تهيا للرحيل
انا كالطير ارتوى من حسوة … ربما اغنى قليل عن جزيل

لغتي ، يا سائلي عن لغتي … معدن الحكمة والشعر الجميل
نزل الاعجاز والوحي بها … وبنت مملكة الفكر النبيل
بذلت المستقي كوثرها … واباحت كرمها لابن السبيل
ولغات الناس كالناس فذي … كف معطاء وذي كف بخيل
هي كالشمس سناء وسنا … لم تعب الا لذي الطرف الكليل
وسعت كل اختراع ، ووعت … من حضارات الورى كل جليل
كم طوى الدهر لسانا وهي ما … برحت في ذروة المجد الاثيل
صنت في دار النوى حرمتها … وتبادلنا جميلا بجميل
كم سهرت الليل في محرابها … خاشعا اشفي برياها غليلي
ان زكا نبتي فمنها بذرتي … ليس يزكو النبت من بذر عليل

بنت عدنان اطمئني ، اننا … لم نزل نحميك بالباع الطويل
ارتعي من حبنا في واحة … ضحكت بالماء والظل الظليل
لاسمك الخالد شدنا حرما … واحطناه بزهر ونخيل
سوف تبقين ، وقد تفنى الثرى … لغة الجنة من جيل لجيل

بوانس ايرس – الارجنتين

زكي قنصل

الشعراء التموزيون : السياب

بقلم روز غريب

معهد الدراسات النسائية في العالم العربي

كلية بيروت الجامعية

* * *

في شعر السياب وزملائه من شعراء عراقيين وغير عراقيين مظاهر انقلاب جذري في الشعر العربي المعاصر ، يمكن اعتباره مقدمة للشعر السوريالي ، شعر التحطيم واللاوعي واللامعقول الذي انتجه مدمنو قصيدة النثر ، منهم انسي الحاج وبول شاوول وسواهما من شعراء وشاعرات .

السياب واحد من زمرة شعراء متجايلين اطلق عليهم لقب الشعراء « التموزيين » لانهم في شعرهم عالجوا موضوع الموت والبعث الذي ترمز اليه اسطورة الاله البابلي الفينيقي « تموز » ، الذي يموت ويبعث من رماده ، وقد اعتبره اولئك الشعراء رمزا لموت الشعب العربي وانبعاثه وخروجه من الظلمة الى النور .

الشعراء التموزيون : يوسف الخال ، ادونيس ، خليل حاوي ، السياب ، جبرا ابراهيم جبرا واخرون نسجوا على منوالهم ، اعتمدوا في شعرهم مبادىء متشابهة اهمها استعمال الرموز من ميثولوجية وغيرها ، بناء القصيدة على المعارضة بين ضدين : الموت والحياة ، الظلمة والنور ، الماضي والحاضر او الحاضر والمستقبل ، تطوير اللغة بخلق الفاظ جديدة واساغة مصطلحات وكلمات شعبية واحياء عبارات وكلمات قديمة ، معالجة موضوعات قومية ، انسانية ، تلتزم قضايا العصر ومشكلاته . اعتماد طريقة الشعر الحر المبني على التفعيلة مكان البيت ، والايقاع غير المنتظم في اطوال السطور وتنسيق القوافي والجناسات ، اعتبار الصورة الشعرية الموحية التي سنها الرمز اساسا للشعر الحديث ، بما فيها من مزاوجات غريبة وإنحاءات بعيدة يرفدها الاسترسال في الحلم واللاوعي وتمدها تدفقات العقل الباطن وظاهرة التداعي الحر في الافكار والصور .

توفي السياب سنة ١٩٦٥ وهو دون الاربعين من العمر . لكنه استطاع ان يصدر قبل وفاته ستة دواوين شعرية ، تظهر تطوره من الرومنطيقية المغرقة في البداية الى المذاهب الشعرية المعاصرة المتاثرة بامثال ت. س. ايليوت وايدث سيتويل واراغون وناظم حكمت . كما ان شعره يدل على تقلبه بين المذاهب السياسية المختلفة ،

لكنه رغم التقلب يعبر عن شعور دافق واحساس عنيف بماساة بلاده ومن ورائها ماساة الوطن العربي الماثلة في تخلفه السياسي والاجتماعي والفكري .. معظم قصائده تضج بثورة عارمة على الظلم الاجتماعي وتموج برؤى مستقبل افضل ، ترينا في السياب شاعرا مطبوعا ، غزير الانتاج ، يمتاز شعره بالتوتر العاطفي والمد الصوري والدفق اللفظي وموسيقية العبارة ، ومحاولات تجديد موفق في المفردات واسلوب التعبير .

« عرس في القرية » لبدر شاكر السياب

يضع الشاعر قصيدته على لسان عامل ريفي تسيطر عليه مشاعر عنيفة من صنف العقد النفسية او المشاعر المكبوتة تتفجر لدى معاينته صورا خارجية تستحضرها من باب المشابهة والتداعي .

المشاعر المسيطرة : هي النقمة العارمة التي يحس بها بطل القصيدة حيال الظلم الاجتماعي . وهي الالم العنيف الذي يجتاحه امام سخرية المفارقات ، حين يرى الغني الجشع يفوز بحبيبته نوار لانه اغراها باموال وحلى جمعها من تعب الفلاحين والكادحين امثاله .

اختار الشاعر لقصيدته وقت المساء . المساء الذي يشعر فيه العامل بالتعب ، يعلل نفسه بالراحة القريبة ويغريه منظر الغروب بالتأمل والافضاء بمشاعره :

مثلما تنفض الريح ذر النضار

عن جناح الفراشة مات النهار

هذه الصورة الجامعة بين البساطة والطرافة تمهد للقصيدة كلها . فهي تجمع بين ضدين : الحركة والهمود ، اللمعان والقتوم : تنفض الريح ... مات النهار ، النضار اللامع يفارق الجناح فيصبح كدرا .

وسنرى فيما يلي ان القصيدة باجمعها تزاوج بين معان متناقضة او متعارضة ، وبهذه الظاهرة تعتمد مبدأ هرقليطس الفيلسوف اليوناني القديم ، الذي قال ان العالم اضداد تنسجم وفي انسجامها سر الجمال . وقد اعتنق هذا المبدأ زعماء مذاهب معاصرة منهم السورياليون .

في باطن الشاعر صور قاتمة يبعثها منظر الغروب لما بينه وبينها من روابط خفية . موت النهار شبيه بموت الحب الذي ياتي ذكره بعد قليل . نضار الفراشة صورة اوحى بها نضار الغني الذي تزف اليه حبيبته نوار ، هذه الصورة زرعت في صدره الحقد والالم .

فاحصدوا يا رفاقي فلم يبق الا القليل ..

في هذا السطر يخاطب الشاب رفاقه معللا اياهم بانتهاء التعب مع انتهاء النهار . وربما يعللهم بشيء آخر لا يصرح به هنا ،

كان نقر الدرابك منذ الاصيل

يتساقط مثل الثمار ....

يتساقط مثل الدموع

او كمثل الشرار ...

هنا تنطلق من صدره مشاعر الالم والنقمة ، نقر

الدرابك درابك العرس ، يشبه تساقط الثمار في بساتين الريف او تساقط الدموع من عينيه الحزينتين او تساقط الشرار من مكامن حقده . تختلط عنده صور الالم والحقد بصور الطبيعة ، الواحدة تثير الاخرى من باب التداعي والمشابهة القائمة على الكثرة والصخب .

من الاشارة إلى العرس بنقر الدرابك ، ينتقل الشاعر الى التصريح بالحدث الكبير الذي فجر مشاعره :

انها ليلة العرس بعد انتظار
مات حب قديم ومات النهار !

هذا المساء نفسه هو موعد عرس نوار . زوال النهار مؤذن بزوال حبه القديم ، لان التي احبها تزف إلى رجل اخر !

بعد هذا التصريح يعود الى استعمال التشبيه الذي بدا به القصيدة ، مازجا بين صور الريف وصور العرس :

مثلما تطفىء الريح ضوء الشموع ..

ويقف عند صورة الشموع ذاهلا ، مرددا في شبه هذيان :

الشموع ، الشموع ...

الشموع في كثرتها مثل حقل من القمح عند المساء . هنا يقارن بين صورة شموع القصر الذي يقام فيه العرس وصورة سنابل الحقل التي يحصدها . الشموع ملك الغني ورمز قوته وسنابل الحقل كذلك ملك الغني ورمز قوته . لكن الرياح تطفىء نور الشموع كما يطفىء الزمن نور النهار . فكأنه يريد التلميح الى انطفاء سطوة الغني في موعد لا يجري تحديده .

من ذكر الشموع ينتقل انتقالا طبيعيا الى وصف ليلة العرس :

.. الشموع .. من ثغور العذارى تعب الهواء
حين يرقصن حول العروس
منشدات : نوار ، اهنئي يا نوار ..

هذا المشهد يفجر حقده مرة ثانية . الشموع التي استمدت روعتها وكثرتهامن تعب العمال ، تستمد هواءها من ثغور الفتيات اللواتي يرقصن حول نوار ، مبتهجات بعمل ظالم مقيت .

من التلميح ينتقل الشاعر الى التصريح ، يخاطب رفاقه واصفا احتقار نوار له ولهم بعد ان اغراها ذهب الغني وقصوره وخواتمه

مثلما تنثر الريح عند الاصيل
زهرة الجلنار
اقفر الريف لما تولت نوار ...

هنا يتكرر التشبيه الذي يربط بين اجزاء القصيدة : يقتبس الشاعر مرة اخرى صورة من الطبيعة للتعبير عما يشعر به لفقد نوار . اقفر الريف لدى ذهابها واصبح كزهرة الجلنار التي نثرتها الريح او كقلبه الذي خلا من الفرح والامل . كانت نوار زهرة الريف التي نثرتها الريح والريح هنا ، كما في السابق رمز التدمير . فهي حينا تدمر الحب او تدمر شموع القصر او تدمر نوارا !

ويفيض الاحتجاج في انتقال المتكلم الى خطاب رفيقات نوار :

بالصبابات يا حاملات الجرار
رحن واسالنها يا نوار ...

وفيه يضع على لسان الفتيات عتابا طويل النفس ، تتخلله صور الريف وذكريات الحب القديم فتلطف من حدته وعنفه ، وتحوله الى شكوى واستعطاف ورنة اسى متكررة :

إنهم يعرفونك منذ الصغر ،
مثلما يعرفون القمر ،
مثلما يعرفون حفيف النخيل
وضفاف النهر
والمطر
والهوى يا نوار !..

من العتاب الاليم ينتقل فجاة إلى خطاب رفاقه ، يدعوهم الى انهاء الحصاد ، لان المساء اقبل يرش اللهيب من اباريق مجبولة بالنضار ، نضار الاشعة الذاهبة او نضار الغني المقيت .

ثم يصبح خطابه صيحة عنيفة يزعم بها أنه سيغزو القصر هو ورفاقه ليصب اله في رقصة غاضبة وضحك ساخر ، لياكل حتى يتفجر الدم من فيه . وحين يقول :

كل ما عندنا نحن هذا الغم !

يشير الى تحوله هو ورفاقه الفلاحين الى بهائم لا هم لها سوى الطعام . ويتحول من العتاب الى التهديد :

لا عتاب .. فلو لم نكن اغبياء
ما رضينا بهذا ولحن الشعوب
فاشهدي يا سماء ...

تقنية القصيدة

تقنيتها ترتكز اولا على تداعي الصور واستحضار بعضها لبعض . فصورة النهار الزائل التيتستحضر صورة الحب الراحل . وذهب الاصيل يوحي بصورة ذهب الغني او نضاره . والريح التي تطفىء لمعان الذهب عن جناح الفراشة هي التي تطفىء ضوء الشموع وتنثر زهر الجلنار.

ثانيا ، كما تتقارن الصور في تداعيها ، تتعارض وتزدوج . فصور الطبيعة والريف تعارض صور القصر وما يجري فيه ، هنا سنابل وثمار تتهاوى ودموع ، وهناك نضار وزغاريد وشموع . وتبدو الازدواجية في الجمع والتناوب بين التصوير والتقرير ، بين الالم والامل : الم بطل القصيدة من ظلم الواقع ، وامله بمستقبل تنقلب فيه الاوضاع ويشرق نور العدالة .

ثالثا في القصيدة صور واقعية ظاهرة في العبارات التقريرية من القصيدة وصور موحية او رمزية تشير الى معان ابعد من المعاني الواضحة القريبة . موت النهار يشير إلى موت الحب وحدوث الفاجعة . الشموع ، الريح ، النضار ، صور تتردد وتدل على معان ضمنية سبق

القمر الهائم

اضفى على الوادي شعاعًا مثل وجه الشمس سافر
واختال ما بين الكواكب زاهيـا كالحسن ساحر
مـا زال نور جبينه يهدي السبيـل لكل حائر
ويهيم في سبحاته نشوان في همسات ذاكر
يـا لونه الفضي شع على الخمائل والغدائر
يرتاد آفاق الحياة يجوبها بالنور زاخر
لله مـا ازهى ضيـاه اذا توهـج بالبشـائر
ولئن تـلالا في الدجنـة قلت : قد آب المغامر
يطوي الفيافي والقفـار بنوره الدفـاق باهر
في اللـب منـه جوى الشـوق يهز اوتار المشاعر
يروي احاديث الغرام فهام فيه كل شاعر
يا ضحكة الطفـل البريء ومشعلا للحب زاهر
كم ذا تناجيك الخواطر هل سمعت صدى الخواطر
انت الملاك تطوف في الدنيـا فتنجاب الدياجر

كربلاء ـ العراق　　　سلمان هادي آل طعمة

ذكرهـا .

تربط بين اقسام القصيدة عبـارات متشابهـة في معانيها وتراكيبها تؤلف عامل وحدة وارتكاز :

مثلما تنفض الريح ذر النضار ...
مثلما تطفىء الريح ضوء الشموع ..
مثلما تنثر الريح عند الاصيل
زهرة الجلنـار ...

في القصيدة الكلاسيكية كان الشطر الثاني من البيت يعزز معنى الشطر الاول ، يوسعه او يرادفه ، اما في هذه القصيدة فيسود التعارض بين المعاني كما راينا ، وفقـا لطريقة ت. س. ايليوت ، الشاعر الانكليزي المعاصر ، ونحن لو عدنا الى بعض قصائد هـذا الشاعر ، واخص بالذكر تلك التي عنوانها « غزليـة المستر بروفروك » ، للمحنا فيها الخصائص عينها التي تؤلف تقنية السياب في قصيدة « عرس في القرية » وفي قصائد اخرى ، نستدل منها على تاثر هذا الشاعر بالشعر الانكيزي المعاصر والشعر الغربي اجمالا .

على ان السياب رغم اقتباسه من الاساليب الغربية، يحتفظ بحرية التحرك والتصرف ، فهو لا يلتزم الاسلوب اللامباشر في جميع اقسام القصيدة بل يناوب بين التصوير والتقرير ، مراعيا نزوات الفكر وعفوية الالهام والدفق اللفظي . وفي الاقسام الخطابية تصبح عبارته في سهولتها شبيهة بعبارة النثر وكلام التخاطب .

في معارضة الشاعر بين صور الريف وصور القصر الذي يموج بالوان الترف يعبر عن نزعته الالتزامية ودعوته الثورية التي كانت احدى الكليشهات الرائجة في الخمسينات والستينات ، وقد خبا اليوم بريقها عقيب الفظائع التي ارتكبها ادعياء الحرية والالتزام .

لكن طرافة القصيدة تنبع من اسلوبها ومن هندسة بنائها . وتنبع كذلك من اعتمادها طريقة الشعر الحر الذي تؤلف فيه التفعيلة ، لا البيت ، وحدة النظم ، وبتنوع عدد التفعيلات حتى يقتصر احيانا على تفعيلة واحدة تنفـرد وحدها على السطر وتستوقف القارىء .

وكما تتنوع اطوال السطور تتنوع القوافي على غير نظام، خلافا لاسلوب التوشيح، وتمتاز هذه القوافي بامتداد يعقبه سكون ، تشبه صرخة الم تمتد وتتردد في اواخر السطور ، لتزيد جو القصيدة انفعالا . ولعل في تسكين الاواخر وجها اخر من وجوه الثورة على الاسلوب القديم ولونا من الوان المخالفة التي يتعمدها شعراء العصر .

روز غريب

ادباء الشعر الحر والرقص على انقاض اللغة

بقلم الدكتور محمد سعد حسن شبوان
مدرس الادب والنقد في كلية اللغة العربية باسيوط

* * *

يأتي هذا المقال في اعقاب اللقاء الشعري الذي دعا اليه الدكتور محمد احمد العزب ، وضيف فيه الشاعر محمد ابراهيم (ابو سنة) ، وشهده عدد من شعراء اسيوط البادئين ، الذين يكتبون الشعر ، أو يحاولون كتابته ، وجمع غفير من عشاق الادب ومحبيه .

وقبل ان يلتقي المجتمعون بالشاعر الضيف القيت عدة قصائد جاءت كلها من الشعر المستحدث او الحر او المتحرر فيما عدا قصيدتين احداهما من الشعر العمودي ، والاخرى من الشعر المقفى ، واياً كان استقبال الحاضرين لهذا الشعر فقد اوجد بعضه في نفوس البعض شيئاً من الامتعاض ، وشيئاً من الاستهجان ايضاً .

فقد جاءت بعض القصائد مهلهلة النسج ، مليئة بالاخطاء اللغوية ، وسواء جاءت تلك الاخطاء عن وعي او عن غير وعي فقد خيل الينا أن اسوار اللغة العالية ، وحصونها المنيعة قد إعملت فيها معاول التدمير والهدم ، ثم لم تلبث ان تحولت الى كومة من الانقاض اخذ هؤلاء المتشاعرون يرقصون فوقها ، ويرتلون على الملأ اناشيد الفخار والنصر المبين .

وبدافع الغيرة على اللغة كانت كلمة احد الاساتذة الذين كرسوا حياتهم لخدمة اللغة والادب ، فقد هاله ان تسقط اللغة تحت ضغط هؤلاء الذين حاولوا قهرها فيما لهم من نتاج ، ومن ثم وجه انظار الشباب الى ضرورة العناية بقواعد اللغة ، والحرص على تقاليدها الشريفة ، وبين اننا حين نسمح لرواد الشعر الحر ومحبيه بان يجربوا القول في هذا الضرب فليس معناه ان نتهاون في حق اللغة ، والا اجرمنا وكانت عاقبة امرنا خسرا .

ثم كانت الصاعقة التي دمرت مشاعر الحاضرين حين وقف واحد من الشباب المتشاعر وكان قد القى قصيدة من الشعر الحر بين يدي الحاضرين في هذا اللقاء فاخذ يتشدق بكلمات طنانة كشفت عن جهل فادح ، وغرور كبير ، ونمت عن مراهقة فكرية مقيتة ، بكل ما يعكسه ذلك التعبير من دلالات .

لم يخجل ذلك الشاب المتشاعر من ارسال الاحكام القاسية في حق من تحدث اليه والى أمثاله من الناشئة موجها ومرشدا ، وراح يرفع عقيرته بان الناقد ليس في النهاية سوى شاعر فاشل كما يقول ناقد فرنسي – على حد زعمه – عجز عن قرض الشعر فلما ان اراد ان يتخلص من فشله ويداري قصوره ويتسلى على خطه نقد الاخرين !

اجل والله لم يخجل .. بل راح يؤكد جهله ويغالي في غروره بما هو أشد من ذلك وانكى حين اشار الى ان من تحدث بلغة النقد ليس له ولا لامثاله حظ من الشهرة ، وان اسماءهم غير معروفة في الوسط الادبي ، وهذه هي المجلات والصحف لا تنشر لهم شيئا ، في الوقت الذي تنشر فيه الكثير والكثير للشعراء الذين استمعنا اليهم وهم يلقون قصائدهم في هذا الحفل .

وهذه – لعمري – هي المراهقة الفكرية التي تحتاج الى تقويم وتوجيه .

انها فورة الشباب وجماح العاطفة وربقة الصلف والغرور ، ولولا إثارة من العقل توجه سلوك الشباب في تلك المرحلة من مراحل العمر لتردى الكثيرون في مهاوي الجهل ومفارات النسيان ، ولضلوا الطريق في مفازات النزق والطيش .

وقبل ان ابين خطأ هذا الشعرور ، ومن على شاكلته من القرناء والانداء اود ان اشير الى عدة نقاط :

اولها : انني لست ممن يعادون الشعر الحر او المتحرر ، وان كنت قد اظهرت عدم ارتياحي له في دراستي للدكتوراه : « القصيدة عند شعراء مدرسة ابولو » منذ عدة اعوام ، فهو شكل جديد ينبغي ان نفسح له مكانا بين ضروب القول الاخرى ، ولانه ظاهرة موجودة لا سبيل الى تجاهلها الان ، تاركين للزمن ان يقول كلمته الاخيرة في هذا الصدد ، فيبين اي الشكلين اصلح ، وايهما أقوم سبيلا ، وايهما اجدر بالبقاء .

ثانيها : اننا لكي نقبل على هذا الضرب من الشعر يجب ان يعمل انصاره على تبرئته من كل خروج على اللغة والا اسقطناها بدعوى التجديد ، يجب ان لا يجرفنا تيار التجديد فننحرف برسالة الشعر عن غايتها الحقيقية ، والشعر الذي ينهض على تلك اللغة الشائهة التي ضاعت منها كل المعايير الصحيحة الاصيلة ، وتهاوت تحت مطارق التجديد ليس بشعر وان زعم من زعم بانه اكثر مخالطة للقلوب والاسماع ، وليغضب من يغضب من دعاة التجديد الذين فهموا ان التجديد لا يعني سوى هدم القديم .

ونحن في الحقيقة حين نحرص على اللغة نحرص على الشعر كذلك ، نحرص عليه حين نطالب الشعراء برعاية كافة المقومات الفنية التي لا يكون الشعر شعرا الا بها ، اما الكلام العاري عن تلك المقومات فليس شعرا ، وان كان موزونا مقفى ، انه نظم فقط وحسبه أن يكون كذلك .

ثالثها : إننا نفرق بين رواد الشعر الحر وبين كل دعي دخيل من غير هؤلاء الرواد ، إن النظرة القاصرة او الرؤية المحدودة ، والثقافة الضحلة او النظرة السطحية للتراث ، والجري وراء دعوات التجديد دون التمحيص

والدرس كل هذا يجعل من اولئك الادعياء وبالا على الشعر واهله ، وهؤلاء يجب ان نحذر منهم ، ونحاصر نتاجهم حتى لا يتفلت منه شيء قد يعكر صفو تلك الدعوة الواعيـــة الناهضة على مجهود هؤلاء الرواد الكبار، الذين رفعوا راية التجديد دون أن يعلنوا التمرد او العصيان على الشكل القديم او ينالوا من اصحابه الا بمقدار .

واشير هنا الى ان الدكتور العزب الذي نعده واحدا من رواد الشعر الحر أو الشعر المتحرر (كما يسميه) مر بتجربة الشكل القديم ، وان قصائده من هـــذا الضرب التي استمعنا اليها منه او قرأناها له تدل على شاعريـــة صناع حيث تمسك بالمضمون العصري دون ان يتمرد على الشكل المنهجي الموروث ، ومن اجل هذا لا احب ان اكتمه سرا اذا قلت ان قصائده التي التزم فيها اوزان الخليـــل وقوافيه كفيلة بأن تجعل منه واحدا من رواد الكلاسيكية الجديدة ، وليته يثري حياتنا الادبية بامثال تلك القصائد التي سوف يكتب لها البقاء طويلا لما وفره لها من طاقات لا يمكن ان تطفيء من وهجها السنون .

نعم لم يتمرد رواد الشعر الحر او المتحرر على الشكل القديم ، ولم يتنكروا له ، او يقطعوا صلتهم به ، بل انـــهم يعودون اليه ليتزودوا منه ، والمشتغلون منهم بالتدريس في الجامعة يقدمونه لطلابهم في شيء من الحماســـة التي نفتقدها عند ادعياء الشعر الجديد ، وكل ما يوجهونه الى هذا الشعر من نقود يكون رائدهم فيها العقل لا العاطفة ، والثقافة المستنيرة لا المعلومات الفجة التي قد تضردون ان يكون لها ادنى اثر من الفائدة والنفع .

رابعها : ان الشعر الحر لا يتأتى الحكم عليه في ندوة تقام هنا او هناك ، ولا في كتاب يؤلفه هذا او ذاك بل ان حركة الزمن الواعية ـ كما قلنا من قبل ـ هي التي سوف تقرر صلاحيته من عدمها ، واشير هنا الى ضرورة اجراء الموازنات الواسعة بين الشكلين : المنهجي المتوارث والجديد الطارىء تحت هيمنة الفكر الواعي بعيدا عن التعصب الذي قد تقود اليه العواطف ، او الذي يكون منشؤه ضبابيـــة الرؤية حين تحجب عن المرء كثيرا من الحقائق التي ربما تنير له الطريق وهو يتعصب لشكل على شكل .

وهذه الموازنات المبتغاة ترمي الى الموازنة بين الشكلين في الوزن والقافية بعيـــدا عن كل الاعتبارات الاخرى ، ولننظر في ضوء تلك الموازنة الى بحور الخليل بن احمـــد وقوافيه والى (التكنيك) الذي ينهض عليه الشعر الحـــر لندرك هل ضيق دعاة الشعر الحر بهذا (التكنيك) على انفسهم ام وسعوا ؟!

والى الموازنة بين استيعاب كل شكل منهما لتجربـــة الشاعر المعاصر .

والى الموازنة بين الصور الشعريـــة التي يمكن ان يؤديها الشاعر المعاصر حين يستخـــدم الشكل المنهجي المتوارث وحين يستخدم الشكل الجديد الطارىء .

والى الموازنة بين الاغراض الشعرية التي يتسع لها كل شكل منهما في ضوء حياتنا العصرية بكل ما فيها من متغيرات تأبى الوقوف وتؤثر الانطلاق ..

والى الموازنة بين الاثر الجمالي الذي يعكســـه كل شكل منهما في نفوس المستمعين او المتلقين على الصعيدين: العام والخاص .. نعم .. على الصعيدين : العـــام .. والخاص .

وفي ضوء تلك الموازنات المرتقبة بالاضافة الى دراسة المؤشرات الثقافية لدى الشعراء الذين يتمسكون بالشكل القديم ، والشعراء الذين يتحمسون للشكل الجديد يمكن معرفة ما في كل شكل منهما من القصور فيعمل الشعـــراء المنتجون على تلافيه ، ومعرفة عناصر الجودة في كل شكل منهما فيحرص الشعراء عليها في جل ما يقدمونه لقرائهم من نتاج شعري ، وبمثل هذا يمكن حسم الخلاف في تلك القضيـــة .

وبعد هذه المقدمات التي ربما تكون قد طالت ، والتي لم يكن لنا معدى عنها نقول :

١ ـ ان النقد الادبي سار في عصور الادب المختلفة يواكب حركة الادب والشعر ويلاحقها في كل اطوارها ، وان هناك عشرات النقاد الذين تصدروا لنقد الشعر دون ان يكونوا شعراء .

والناقد الادبي يقوم بمغامرة مع العمل الادبي معتمدا على حدسه ووجدانه ، وفي اثنائها يعيد تجربة الخلق التي مر بها منشىء النص من جديد ، والفرق بين الناقـــد والاديب ان الاخير يعبر عن التجربة من الداخل متجها بها الى الخارج ، والناقد يبدأ من حيث ينتهي الاديب ، يبدأ من الخلق الخارجي للتجربة ويتجه به الى وجدان الاديب، وفي اثناء تلك الرحلة تكون مشاركة الناقد للاديب او الشاعر فيستجيد ويستهجن ، ثم لا يكتفي بذلك فيشرح ويعلل ، ويقوم ويوجه ، وبهذا تكون مشاركة كل من الاديب والناقد في كل عمل شعري او اثر ادبي يراد له الخلود .

٢ ـ والشاعر لا يعيش بمنأى عن مجتمعه فالتفكير كما يقال ظاهرة اجتماعية لا فردية بمعنى ان الفرد لا يفكر الا حين يستحضر الجماعة في نفســه استحضارا ملحوظا او غير ملحوظ والذي يكتب ليرضي نفسه انما يخدع نفسه كثيرا ، ولولا ان الشاعر يجب ان يقرأ الناس له لما فكر في تدوين شعره ، او ارساله الى المطابع ، ولما وجد على النقاد ان هم اهملوا شعره او اعرضوا عنه ، وقد يتهمهم بالغيرة او الحســد حين ينوهون بغيره دون التنويه به (١) .

وانني احيل ذلك الاخ المتشاعر الى كتب النقـــد ، وساخفف عليه كثيرا حين أطلب اليه ان يعود الى كتـــب النقد التي الفت في العصر الحديث فقد لا يفهم هو وقد لا يفهم امثاله كتب النقد التراثية التي قطعت في رحلتهـــا الينا مئات السنين ثم لم ينخرم منها حرف ولم يتغير او يتحول منها شيء حتى الان الا ما اكلته الارضة وعز على المحققين الاهتداء اليه .

واخفف عليه كثيرا حين اطلب اليه الرجوع الى كتب بعينها من مثل كتاب الدكتور طه حسين : « فصـــول في الادب والنقد » حين تحدث عن الادبـــاء المعاصرين (٢) ،

فحديثه هناك يغني عن سرد كثير قد لا تتسع له تلك الصفحات التي تعمل على تسطيرها الان ، ومن مثل كتابه « حديث الاربعاء » في الجزء الثالث منه حين تحدث عن اخلاق الادباء (٣) ، ومن مثل كتابي الدكتور شوقي ضيف : « في النقد الادبي » و « فصول في الشعر ونقده » ومن مثل كتاب الاستاذ العقاد « بحوث في اللغة والادب » في حديثه حول « من المسؤول عن هبوط مستوى الشعر ؟ » وهو المقال الذي نشر بالهلال في عدد يونية ١٩٥٨ ، الى غير ذلك من الكتب التي قد لا يحصرها عد .

٣ ـ والفت نظر الاخ الغاضب الى ان شاعرا كالدكتور احمد زكي ابي شادي الذي نيفت دواوينه الشعرية على العشرين بالاضافة الى دواوينه الشعرية باللغة الانكليزية التي كتبها بعد رحيله واسرته لامريكا في عـام ١٩٤٦ ، ودراساته الادبية الاخرى التي سطرها بروح عالم اديب فنان، وكان ذائع الصيت في عصره ، ولا زال صيته طائرا حتى اليوم ، هذا الرائد الكبير الذي راد حركة الشعر في العقد الرابع من هذا القرن يقول عنه الدكتور طه حسين في كتابه « حديث الاربعاء » : « ... وأديب آخر لا بد من ذكره ، وإن كنت لم أعرض له بعد ، ولكني اذكره على كل حال وهو الدكتور أبو شادي ، فقد بلغه اني اريد ان اعرض لشعره في بعض حديث الاربعاء فتفضل وارسل الي بعض دواوينه ، وكتب يسبق النقد بالشكر مسجلا على نفسه انه شاكر لهذا النقد ، مهما يتكشف عنه من الاراء ، ومهما يكن هذا النقد مرضيا او غير مرض ، هذا حسن .. هذا خليق ان ينتفع به الشبان ايضا ، هذا عهد يجب ان يكون بين المنتجين والنقاد ، على المنتجين ان ينتجوا مخلصين ، وعلى النقاد ان ينقدوا مخلصين ، لا ينظم الصلة بينهم في هذا الا الصدق والاخلاص ، وابتغاء الحق من حيث هو لا من حيث انه يسر او لا يسر هؤلاء » (٤) .

ولم يقل احد ان ما كتبه طه حسين في النقد يجب ان يلفظ او يجب ان يلقى به في البحر او يضرب به عرض الحائط لانه لم يكن شاعرا .. ولم يقل احد ان الدكتور ابا شادي كان من الشعراء الذين عاشوا على السفح ، واين هذا الشعرور من شاعر كابي شادي رحمه الله ؟.. اين ؟!..

ونصيحة الى الشاعر الثائر اسديها اليه ، إنصحه ان يعود إلى المعارك الادبية التي إشتعلت في الجيل الماضي قارئا ومستوعبا فلعله يستمد منها من الدروس ما يستضيء به في رحلته الادبية ان هو اراد الاستمرار في تلك الرحلة على نحو جاد .

٤ ـ واما بخصوص النشر الذي تفضل الاخ بلفت نظرنا اليه فنحن نطمئنه ونهدىء من فورته الغاضبة ونقول له : نحن نقرا كل ما يكتب تقريبا نقرا الغث والسمين والمفيد وغير المفيد ، ونعلم فوق هذا كله ما لا سبيل الى معرفته به .

لقد غاب عن الاخ النابغة ان المجلات الادبية لا تنشر للناشئة من الشباب إلا لتملأ نفوسهم بالثقة كي يشقوا طريقهم بنفوس راضية مطمئنة ، فاذا ما ظن هؤلاء ان النشر معناه ابتعاد الذروة ، وان النشر معناه المزيد من الغرور والاستعلاء فليعلموا انهم قد بداوا الصعود الى الهاوية ، وان حياتهم الشعرية او الادبية والفكرية سوف تنهار .

وامامي الان الاعداد الاخيرة من مجلة « الجديد » وهي التي تفتح صدرها دائما للكتابات الجديدة دون ان يكون في أذهان محرريها من شيء سوى مساعدة هؤلاء كي تتحول طاقاتهم الشعرية المحدودة إلى طاقات ناهضة هائلة العطاء ...

هناك ـ مثلا ـ قصيدة «اللعب على الاوتار» لحجازي غريب : (الجديد ، العدد ١٩١ ، ٥ ا ديسمبر ١٩٧٩) وقصيدة « قلما قرأتها .. إقرا » لمحمد السيد عبد العليم: (الجديد العدد ١٩٣ ، ١٥ يناير ١٩٨٠ م) وقصيدة ثالثة لابراهيم رزق ندا بعنوان « ولنا مع القدر لقاء » (الجديد العدد ١٩٤ ، اول فبراير ١٩٨٠) هل يستطيع انسان ان يدلنا فيها على شيء يستحق حتى مجرد الوقت الذي ينفقه المرء في قراءتها ؟!

خذ مثلا قصيدة محمد السيد عبد العليم ،واقرا معي قوله :

اخي يأسي في الدنيا .
احبابي هو وجيراني
وافرد روحي وعمري
لإحضن املا بإحضاني
فاضم بشدة مزهوا ..
ولكني احضن احزاني ..

اي شيء يعجب في هذا الغثاء المر ؟ واي نهضة هذه يمكن ان تقوم على امثال تلك الاثار الهزيلة ، واستميح القارىء عذرا اذا اطلقت لفظة « قصيدة » التي نترفع بها كثيرا من إن نطلقها على تلك الكلمات الهارفة .. الفارغة ..

فهل يشمخ هؤلاء بآنافهم لان مجلة كالجديد ارادت ان تنهض بهم ، ولم تنشر لهم الا لهذا السبب وتلك الغاية فتحاملوا على غيرهم بحجة انهم اصبحوا من ذوي الاسماء اللامعة في الصحف والمجلات ؟!

لقد رد الزميل الناقد على الشاب النابغة والبسه ثوبه ـ كما يقال في الوسط الشعبي ـ ولكن رده لم يكن كافيا .. فاردت ان اسهم في الرد بمثل تلك النظرات المدروسة التي اردت لها أن تعيد الحق الى نصابه .. وان تضع كل انسان في المكان الذي يتناسب وحجمه الصغير او الكبير ، وبهذا تهدأ النفس ويستريح الضمير .

(١) انظر فصول في الأدب والنقد للدكتور طه حسين ص ٥ وما بعدها ط : دار المعارف بمصر .

(٢) إنظر المرجع السابق من ص ٩ ـ ١٣ .

(٣) راجع الصفحات ١٥٨ ـ ١٦٢ ، ١٧٠ ـ ١٧٧ .

(٤) حديث الاربعاء ج ٣ـ١٧٤ ، الطبعة العاشرة ط : دار المعارف بمصر

القاهرة — محمد سعد فشوان

ليس في المجد أول أو آخر

* * *

اقام نادي الليونز بفندق هيلتون حفل عشاء فاخر تكريما لرئيسه الصحافي الكبير الاستاذ محمد زكي عبد القادر بمناسبة عضويته الجديدة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة . وهذه قصيدة شاعر الاهرام تكريما لصديقه وزميله.

* * *

محمد عبد الغني حسن

* * *

القـــاهرة

لم يعبهـا مجيئهـا في الاواخـر … ليس في المجـد اول او آخـر
انت اهل لهـا ... فسيان جاءت … في خريـف ام في الربيـع الباكر
آه لو انصفوك قدمـا لقامـت … لك في المجمـع العريـق منـابر
حسبنـا أننا ظفرنـا إخيرا .. … بمحيط في عـالم الفـكر زاخـر
فخـذ اليـوم « يا زكيّ » مكانا … بين شوقي وناصف والجاسر (١)
رفقـة في اللغى وفي النحـو لكن … عقدوا كلهم عليـك الخناصر
نحـن في حاجـة الى الميي … ذي لسـان ، وذي بيـان آسر
كم شقينـا (بفاعل) و(فعـول) … وارقنـا بـلابن او تـامر
ونسينا ـ حين اختلاف المثنى ـ … مـا الذي بـين . . . . .

ان تكن جئت في زمـان اخـير … فلقـد فقـت في زمـان مبـاكر
لم يؤخـرك عن مكانـك فضـل … جاء مستانيـا لجهـد مبادر
كم انـاة في السحب كانت بشيرا … بالغوادي من السحـاب المواطر
جاءك الخـير كاشفا عن معـان … رائعـات ، وعـن كريـم مـآثر
رب نعـمى اتـت لتغـير اوان … بعد مطـل من الزمـان الغـادر
لا تقـل إبطـا الزمـان فان ال … خير في بطئـه جـزاء الصابـر

يا وئيد الخطـا بلغت .. وكم من … تسرع عـاد وهو في الخطو عـاثر
ان إقدامـك الرزينـة كانـت … في طريـق محفوفـة بالمخـاطر
كنت فوق الاشـواك تمشي ولكن … انت حولتهـا ربى وازاهـر
وتمرسـت بالصحافـة .. حتى … دان منهـا لك العصي النـافر
فغـزوت (الاهرام) وهي شموخ … واقتحمت (الاخبار) وهي مفاخر
ورايـت الحيـاة رؤيـة حر … عالم (بالفصول) (٢) وهي دوائر
وعرفـت الإنسان عرفـان واع … لم تفتـه مـوارد ومصـادر
وكشفـت الخبيث وهو يـداجي … وفضحت اللئيم وهو يحـاور
تتحرى في (النور) (٣) كل صلاح … تتحدى في الحـق كل مكابـر
لم تضق بالزمان صدرا ومن ضا … ق قليـلا بدهـره فهـو خاسر
تتلقى الخطـوب وهي دواج … في رضـا مؤمـن ، وايمان شاكر
وتلاقي البلاء بعـد بـلاء … في ابتسامات فيلسـوف ساخر
وبهـذا علـوت فـوق الرزايـا … وتخطيـت كـل هـم مسـاور
وبهـذا توثقـت لـك عنـدي … ذكريـات يكنهـا لك ذاكـر

يا صديقي ، ومثـل ودك شيء … اتبـاهى بحـوزه واكاثـر
جئت (نادي السباع) (٤) استرضعفي اتوقى عرينـكم ، واحـاذر
انـا بين الاسود آمن سربـاً … لم اقـامر بمامني ، لم اغـامر
يا اسـود الحمى ، ودون حماكم … تهدا النفس بل تطيب الخواطر
بين عضو من الهشاشـة سـام … ورئيس مـن البشاشـة طـاهر
يانس الموحشـون في كنـف الاس … د ، ويلقـون كل ود غـامر
فابتسـام على الشفـاه عريض … وطعـام علـى الموائـد وافـر

هـذه ليلـة تجمع فيهـا … كل نجم بـمدى التالـق زاهر
كل خـبير اصبته فهـو منهم … والبهم وذاك شـان الاكابـر
جمع الود بينهم ... فتسـاندوا … في خفي مـن الوداد ، وظـاهر
والتقـوا ههنـا لمعنى كريـم … في الاديـب (الزكي عبد القادر)
فتقبـل منهم تهانيء صحـب … وتقبـل مني تحيـة شـاعر

---

(١) هم الاساتذة شوقي امـين ، وعلى النجدي ناصف ، والشيخ حمد الجاسر ، اعضاء مجمع اللغة بالقاهرة . (٢) اشارة الى مجلة (الفصول) التي اصدرها المحتفى به .
(٣) اشارة الى عمود (نحو النور) في الاهرام والاخبار ، وهو العمود اليومي للمحتفى به .
(٤) هو نادي الليونز الدولي صاحب الدعوة والذي يراسه الاستاذ المحتفى به .

نجاتي صدقي الذي فقدناه

بقلم : الدكتور عيسى الناعوري

* * *

يرحل الاصدقاء ، ويطويهم الثرى هنا وهناك ، ولا ناعي ينعاهم احيانا ، ولا تصل انباء رحيلهم إلا بعد حين ، فلا نظفر حتى بلحظة وداع ، ولا بخطوة نمشيها معهم في طريق الذهاب الاخير .

كذلك قضى الصديق القديم الطيب ابو السعيد ، نجاتي صدقي ، بعيدا في اليونان ، بعد ان هرب من سعير الحرب في لبنان ، فلم تستطع يونان الاغريق ان تكتب له السلامة من انياب الموت . ولم اعلم بوفاته حتى طلعت علينا مجلة (الاديب) البيروتية ، في عدد يناير ـ فبراير ١٩٨٠ ، تحمل نبأ وفاته بين برقياتها ، ذات السطور القصيرة والحروف الدقيقة المستورة . ولولا الاديب ما عرفت ان ابا السعيد قد انطفأ سراجه .

لقد كان آخر لقاء لي به صدفة في احد شوارع بيروت القديمة قبل اكثر من عشرين عاما . وسرت معه قليلا ، وكان الوقت مساء . ثم عرجنا على مقهى قريب وجلسنا (نتنادم) على فنجان قهوة ، ونتدردش عن حاضرنا ، وعن ذكريات الزمان الماضي : ايام يافا ، والقدس واذاعة الشرق الادنى فيهما .

كان اول معرفتي بأبي السعيد في اذاعة الشرق الادنى البريطانية (وكان مكانها في حي العجمي في يافا) سنة ١٩٤٠ او ١٩٤١ . في ذلك الحين كنت اقيم في رام الله ، وذهبت مرارا الى يافا لكي القي بنفسي بعض الاحاديث الادبية من محطة الشرق الادنى . وكان نجاتي يعمل في الاذاعة ، وكان يقيم في يافا . وهناك التقينا ، فقد كان نجاتي مشرفا على بعض شؤون قسم الاحاديث الادبية في الاذاعة ، او كان ذا صلة بذلك .

ثم انتقلت المحطة من يافا الى القدس ، ومن حي العجمي الجميل المشرف على البحر الى حي باب الساهرة المرتفع ، على كتف المتحف الفلسطيني ومدرسة المأمونية . واستقرت المحطة هناك ، واستقر نجاتي صدقي في منزل غير بعيد عنها ، في حي وادي الجوز ، عند سفح التل المقابل لمكتبة الجامعة العبرية . وكنت انا ايضا اقيم في القدس آنئذ . وهنا كثرت لقاءاتنا ، واخذنا نتبادل الزيارات .

كان ابو السعيد انسانا طيبا ، خجولا ، دمثا قليل الكلام ، خفيض الصوت ، فما يرتفع له صوت في نقاش ، ولا يحتد في غضب . وهو من الطف الاناس معشرا ، ومن ابعد الادباء عن الحديث عن نفسه وعن الادلال بادبه ومعرفته حتى ليكاد من لا يعرفه يحسبه من بسطاء الناس الذين لا صلة لهم بالثقافة والادب ، وهو الاديب الواسع المعرفة والثقافة في غير تبجح ولا ادعاء .

وكثيرا ما كنت اذهب لزيارته في منزله ومعي الاديب السوري الحمصي عبد القادر الجنيدي ـ وكان هذا يقيم ويعمل في القدس ، ثم ردته النكبة الفلسطينية الى حمص ، حيث توفي منذ عدة سنوات ـ وكانت جلساتنا مع ابي السعيد بسيطة ، بعيدة من التكلف . كانت جلسات ادب وحوار فكري يستطاب ، فلقد كان نجاتي ، بثقافته الروسية والانكليزية ، واسع الفكر ، طلي الحديث .

ثم جاء عام ١٩٤٨ ، وانتقلت اذاعة الشرق الادنى البريطانية من القدس الى قبرص ومعها موظفوها ، ومنهم نجاتي صدقي . ولكنه سرعان ما ترك الاذاعة ، وغادر قبرص الى بيروت ، وظل فيها الى ان اضطرته الحرب اللبنانية الى الهجرة من جديد ، وهذه المرة الى اثينا ، حيث مات اخيرا غريبا : غربة روح ، وغربة وطن ، وغربة ادب وفكر .

هكذا نزح نجاتي عن القدس ، ونزحت انا كذلك عائدا الى بلدي الاردن . فلم نعد نلتقي ، ولا عاد يجري بيننا حوار ، الى ان اصدرت مجلتي (القلم الجديد) في مطلع ايلول ١٩٥٢ ، ورحت ابحث عن اصدقائي القدامى حيثما وجدوا ، لاجند اقلامهم لخدمة النهضة الادبية التي كانت تمثلها المجلة . وكتبت الى نجاتي في بيروت ، فاستجاب للدعوة ، وشارك في العدد الخامس من المجلة باقصوصة عنوانها (المغترب) . وكان العدد ممتازا ، ويقع في ١٠٠ صفحة ، وكان خاصا بالحركة الادبية في ضفتي الاردن ، وقد صدر في مطلع كانون الثاني ١٩٥٣ .

ثم صدرت آنذاك مجموعة نجاتي القصصية الاولى (الاخوات الحزينات) عن دار المعارف في مصر ، واهدى الي نجاتي نسخة منها ، فراجعتها في العدد الثامن من (القلم الجديد) الذي صدر في شهر نيسان ١٩٥٣ .

وفي بيروت مضى نجاتي يعمل في الاذاعة والصحافة ، ويعمل كذلك في الترجمة لعدد من دور النشر اللبنانية . وكان وافر الانتاج . واذكر من كتبه الموضوعة والمترجمة التي صدرت في لبنان ما يلي : (الشيوعي المليونير ـ الارملة اللعوب ـ اقاصيص مختارة من الادب الروسي ـ اقاصيص مختارة من الادب الصيني ـ اقاصيص مختارة من الادب الاسباني ـ الاسلام والنازية ـ بريد موسكو ـ رحلة ابرط ـ الحصادون ـ الغراب ـ الخنفسة الذهبية ـ القط الاسود ـ كارمن ـ معركة شيلوه ـ مذكرات لادي دوغلاس ـ مكسيم غوركي ـ وراء الاسلاك) وكتب اخرى (انظر البيبليوغرافيا الفلسطينية الاردنية ـ ١٩٠٠ ـ ١٩٧٠

لمحمود الاخرس) . وقد كان ظهر له من قبل كتابان صغيران في سلسلة (أقرأ) المصرية ، هما (تشيخوف ، ويوشكين) .

لقد كان نجاتي صدقي بين كتاب القصة القصيرة المرموقين في فلسطين ، الى جانب عارف العزوني ومحمود سيف الدين الايراني ، وكان الثلاثة معا في يافا . واذا كان العزوني والإيراني قد تأثرا بادب القرن التاسع عشر الفرنسي ، فقد تأثر نجاتي بادب ما قبل الثورة البلشفية الروسي ، بحكم دراسته في روسيا واقترانه بسيدة روسية . وهكذا كان تأثره بالادب الروسي مباشرا ، في بلده وبيئته ، في حين ان تأثر العزوني والايراني بالادب الفرنسي كان من بعيد لبعيد ، لا عن طريق معرفة الجو والبيئة ، بل عن طريق المطالعة فقط .

وعلى الرغم من وفرة أنتاجه الادبي ، لم يصدر من انتاجه القصصي الخاص غير مجموعتين قصصيتين ، هما : (الاخوات الحزينات ــ والشيوعي المليونير) ، وقد ظهرت الاولى في دار المعارف في مصر وظهرت الثانية في منشورات دار الكاتب العربي في بيروت سنة ١٩٦٣ ، بعد عشر سنوات من ظهور المجموعة الاولى . وتضم المجموعة الاولى ثماني عشرة اقصوصة ، وتضم الثانية ثلاثا وعشرين اقصوصة . وكثير من اقاصيص المجموعتين له صلة مباشرة بفلسطين وباللاجئين ، او بما قبل النكبة الفلسطينية . واما انتاج نجاتي الباقي ــ وهو كثير كما راينا ــ فترجمات من الاداب الغربية .

القصة عند نجاتي نوع من (الحكاية) البسيطة ــ بساطة في الفكرة ، وبساطة في الاداء ــ وقد يبلغ به حب البساطة في القصة ان يقرب بها احيانا الى سذاجة اقاصيص الجن والمردة والحوريات التي تكتب للاطفال : فقد يبدأ اقصوصة على طريقتها الإسطورية ــ كما نجد في (سمكة العيد) من مجموعة (الإخوات الحزينات) ــ او قد يجعلها اسطورة كلها ، كما في (اسطورة قوقازية) من المجموعة عينها .

واقاصيص ابي السعيد هي ، في الغالب ، من مادة الحياة الشعبية ، واغلبها تصوير لمادة هذه الحياة في نواح متعددة منها ، وان يكن بعضها لا يخلو من قصد العبرة او الرغبة في التوجيه . وقصته هي مرة من القدس ، ومرة من يافا ، ومرة ثالثة من بغداد ، ومرة رابعة من حلب ، او هي من بيروت ، او قبرص ، او الحجاز ، او مصر . وهكذا ، لا يزور نجاتي بلدا حتى يعود منه باقصوصة او اكثر . ومن المؤسف ان بعض اقاصيصه يجيء على شكل مقال عادي ، أو على شكل حكاية تروى في سهرة عادية ــ وهذا بعض الوان البساطة القصصية عنده ــ من ذلك ، مثلا : (حياة بلابسي) في مجموعة (الاخوات الحزينات) ، فهي مجرد مقال عادي ، ومثلها الكثير من اقاصيص (الشيوعي المليونير) و (الاخوات الحزينات) ، فهي حكايات ساذجات ، السرد فيها على طريقة الحكاية الشعبية هو ابرز صفاتها . حتى الاقاصيص التي انتزعت من ماساة اللاجئين ــ مثل (حياة بلابسي) التي ذكرتها ــ و(ممرضة من فلسطين) من مجموعة (الشيوعي المليونير) جاءت ساذجة السرد ، شعبية اللون ، ولا حرارة فيها . ولعل اقوى الاقاصيص المتعلقة باللاجئين هي قصة (العربي التائه) من المجموعة الثانية (الشيوعي المليونير) ، ففيها صورة الكفاح الجاهد اليائس في سبيل البقاء والحصول على هوية (انسان) له حق في ان يعيش .

واما الاقاصيص التصويرية فانك واجد منها الكثير في المجموعتين ، وكذلك الاقاصيص التي ترمي الى اعطاء العبرة ، أو تهدف الى التوجيه .

وحين ننظر في (الاخوات الحزينات) نجد ان اقوى اقاصيصها هي تلك التي اعطت اسمها للمجموعة كلها . وهي قصة رمزية ، تدير الكلام على خمس شجرات جميز في احد شوارع تل ابيب الكبيرة ، يتذكرن ايامهن السالفة حين كن ملتقى الفتيان والفتيات العرب ، وملاجيء حبهم ، ويتحسرن على ذلك العهد الجميل الذي مضى بزهوته وصبواته .

ومن اقواها كذلك قصة (معركة صبيان) ، وهي تصور الحماسة الوطنية العامة في نفوس الفلسطينيين ايام الجهاد ضد تدفق الهجرة اليهودية على فلسطين ، وكيف كانت هذه الحماسة تصل بلهيبها اللافح الى نفوس الصبيان فيقدمون هم ايضا على اداء نصيبهم من هذا الجهاد ضد العدو .

ولكن في المجموعة اقاصيص تثير الاستغراب ، مثل (الجثة الحية) و (ليلة في القبر) ــ في الاولى ينقلب الإستاذ الجامعي المتحرر العصري الواعي ، انسانا رجعيا حقودا متاخرا ، يغار من زوجته ــ وهي تلميذته سابقا ، وقد عودها الحرية والجراة وحب النقاش ــ ولكنه بعد ان اقترن بها ، لم يلبث ان صار يرغمها على ملازمة البيت ، وعدم الخروج الى المجتمعات ، ويقفل عليها الباب عند خروجه من البيت ، وبذلك يربي عندها الشعور بأنها (جثة حية) .

والتحقيق الطويل ــ في القصة الثانية ــ الذي يجريه الملاكمان منكر ونكير مع الاديب المدفون ، يكاد يوحي الى القارىء بأن الكاتب ثائر على حرية الفكر ... ولا يدري المرء كيف طار الاديب من القبر بعد الليلة الاولى ... وطبيعي ان القصة كلها تدخل في باب النكتة ، او السخرية. ولعل المؤلف كان يقصد بها اديبا معينا ، او اكثر من واحد ممن يدعون الادب ويتشدقون بالحرية الادبية .

ولكن نجاتي : من الجهة الاخرى ، استطاع في قصة (شمعان بوزاجلو) ان يصور بكل بساطة نفسية اليهودي المنحطة تصويرا بارعا ، كما استطاع ان يصور كذلك انتقام بنات الملاهي من الرجال في قصة (الراقصة مارغو) ، وان

اغنية الرحيل

سجا ليلي ولج بي الرحيل ... فيا قلبي فديتك ما تقول
الا يرضيك عودتنا اليهم ... وهل يا قلب عندك ما يحول
اخاف عليك من هجر طويل ... فقد يودي بك الهجر الطويل
هناك نسيمهم عبر الروابي ... يرف عليك هفهاف عليل
يذكر بالعشيات اليتامى ... وبالنفحات تبعثها التلول
ملاعب للصبا عبقت وطابت ... ودنيا لم يصح فيها ثقيل
عبرنا دربها شرقا وغربا ... وما عتم الصباح ولا الاصيل
« سلمية » يا ربيعا في حياتي ... بقلبي منك حب لا يزول
رجعت اليك تحدوني الاماني ... يطوف بمهجتي الشوق النزيل
افيء الى ظلالك في الاماسي ... « اميل مع الهوى اني يميل »
فليلك مترع بالشوق حان ... وبدرك لا يضر به افول
وراحك مبتغاي ولست ادري ... اشهد في دنانك ام شمول
يمني باللقاء غر وسيم ... ويمخض بالهوى رشا كحيل
وحين يمر سامرنا بليل ... يهل البدر مفتر خجول
فيناى عن مرابعنا رقيب ... ويابى ان ينم بنا عذول
حياتي بين نعمان وعود ... وشاد في اغانيه بخيل
والحاني دعاء وابتهال ... وتفريد واحيانا هديل
فيا عهد الهوى لا زلت حيا ... يظلل افقك الغصن البليل
ويا انشودة الشعراء هاتي ... مدامك قبلما يدنو الرحيل

سلمية ــ سورية ... عارف تامر

يصور اخلاق المجتمع المنافقة والوصولية في قصة (اصدقاء المصلحة) . واما في (الشهادة الابتدائية) فيقدم نجاتي للقارىء مغامرة جريئة ولطيفة . وهذه الاقصوصة من الطف اقاصيص (الاخوات الحزينات) وابرعها سياقا ونهاية وحوارا .

والذي يقال في (الاخوات الحزينات) يقال مثله في (الشيوعي المليونير) . فنجاتي يعتمد على الحدث في الغالب ، دون التحليل وقوة الحوار . وعبارته لا تعرف الشاعرية والخيال المزوق . والمواعظ في اقاصيصه تجدها بارزة احيانا ، وكذلك اسلوب المقال في القصة . من ذلك ، مثلا ، قصة (عند الفجر) ، وقصة (العنبر رقم ٥) ، فانت فيهما لا تدري اتقرا قصة فنية ام تقرا خطبة وموعظة ام انت امام مقال عادي . و (سي محمد الشامي) تحكي مغامرة صبيانية بنوع من التصوير الفوتوغرافي ، و (العبد سعيد) حكاية من دون رتوش او لمسات فنية . عنصر الحرارة قليل البروز في قصة نجاتي عامة ، على الرغم من تنوع مصادر القصة لديه ، بتنوع البلدان والشعوب التي يستلهمها اقاصيصه . ولكن تظل لديه البساطة الشديدة، وهي الميزة التي تميزه عن غيره من كتاب القصة القصيرة في فلسطين وفي الاردن .

والبساطة هي لون حديث من الوان القصة ، نجدها احيانا لدى عمالقة القصصيين في الغرب ، فقد تقرا احيانا اقصوصة لكاتب شهير ، فتتساءل بعد قراءتها : واين عناصر التشويق والاثارة في هذا العمل القصصي ؟ ولكنك لا تلبث ان تحس في اعماقك بان منظر اللوحة البسيطة اوقع في النفس احيانا من اللوحة ذات الالوان الصارخة .

ويبقى وراء بساطة القصة عند نجاتي ، بساطة شخصية نجاتي نفسه . لقد كانت القصة من قلمه ، صورة عن شخصه البسيط اللطيف المحبوب .

عمان ــ الاردن ... عيسى الناعوري

من الشعر المنثور الى قصيدة النثر

بقلم إسماعيل عساّمود

* * *

حفلت صباحات القرن العشرين بـ « الشعر المنثور » ، هذا الشعر القلق المتقطع الذي لا نغم له ولا وزن ... ولقد اقترف ناظموه من معين الإخيلة الغربية ، فحسبوا ان « القريض ـ الشعر » مثلا هو في اطلاق العاطفة من قيود الموازين والقوافي ... على ان القريض هذا نوع في الشعر لم تعرفه العربية ، له عند الفرنجة ما للشعر الحق من المكانة والوضع ...

كذلك تميز هذا القرن في مطالعه بانه قرن التجديد في جميع المجالات فالفنون قطعت صلتها باشكال مالوفة كانت والمثقف زهد في اكتناه اسرار الكشوف العلمية .. كما تميز ايضا بالسعي لان يكون الانسان فيه حرا بحق اما كيف نشا الشعر النثري في البلاد العربية وترعرع وتغذى .. فان عودة الى بدايات هذا القرن ترينا ان الشعراء العرب تاثروا بحركات الشعر الاوروبي بحكم دراساتهم للغات الاجنبية وشيوع الترجمات واتساعها كما هو معروف لدينا ونقلهم لاكثر القصائد الاجنبية « انكليزية فرنسية روسية انكليزية امريكية وغير ذلك » الى اللغة العربية الا ان المؤثر المباشر كان الشعر الفرنسي وحركته عبر قرنين ماضين فقد نشات حركة الشعر الحر في فرنسا منذ زمن ابعد من القرنين التاسع عشر والثامن عشر ولكنها لم تحقق هدفها الا في الربع الاخير من القرن الماضي التاسع عشر اي في عهد المذهب الرمزي . اذ ذاك اصبح « البيت » المتحرر اداة شائعة للتعبير ولكن الشعر الحر هذا كان وليد الشعر المنثور عندهم الذي سبقه ومهد له النثر الشعري وقد نوقشت هذه المسالة منذ القرن الثامن عشر ولكن دون ان يصل المتناقشون الى حل وطيد ...

بيد ان ثمة مقولات سابقة للعصر تؤكد ان هناك شعرا جميلا دون ابيات كما ان هناك ابياتا جيدة النظم تخلو من الشاعرية (الاب دي بوس ١٧١٩ فرنسا) هنا نجد ان ثمة فصلا بين مفهوم الشعر والنظم وقد تساءل جان جاك روسو بما معناه كيف يصبح الإنسان شاعرا وهو يكتب النثر ؟

الا ان روسو استطاع ان يضع في اسلوبه النثري اداة شعرية كذلك شاتوبريان وضع في مذكرات من وراء القبر روحا شعرية غنائية مما جعلها تنساب في نثر موسيقي رشيق الايقاع يكاد يؤلف قصيدة من الشعر المنثور حتى قيل ان افضل الشعراء الغنائيين هم كبار الادباء الناثرين مقولة اخرى توضح ان الشعر المنثور لم يظهر حقا في فرنسا الا في عصر الرومانتيكية ولكن اذا كان الشعر المنثور قد نتج عن ثورة ضد قوانين العروض التقليدي الشديد الصرامة فقد كان عليه ان يخضع بدوره لبعض القواعد فهو يفترض وجود تركيب وتنظيم ووحدة عضوية وترجيع لعبارات بعينها وتجنيس لفظي مما يميزه عن النثر ومن خصائص هذا الفن الجديد توخي الايجاز .. ولذا نجد ان الشعر المنثور بدا بديوان للشاعر « الوزيوث برتران » الذي ابتكر فيه هذا اللون من الوان الادب فقصيدة « ضوء القمر » التي تتالف من ستة مقاطع لا يتجاوز كل منها سطرين او ثلاثة في ديوان برتران اوحت لـ « بودلير » بكتابة قصائد نثرية صغيرة اثرت بالشاعر « رامبو » فكتب فصل في الجحيم ، وبعد ذلك امعن الرمزيون وتجاوزوا حدود الشعر المنثور او القصيدة النثرية فاسسوا البحر لا على اساس المقطع بل على اساس النبرة ، الإيقاع .

لان حرية الشاعر هي الاهم والشاعر عليه ان يصنع انغام سطره الشعري كما يشاء وكذلك ايقاعه الخاص ولكن يبدو ان هذه التجربة فشلت « ففرلين » الذي ثار على القافية خشي على مريديه من هذه الجراة الا ان الشعراء استعاضوا عن القافية بالاكثار من الجناس بين الكلمات باستعادة حروف بعينها من لفظة الى لفظة ، وقد تغنى « هنري دي رينيه » وغيره في ابتكار الاشكال الجديدة للظهور بمظهر عصري ...

الا انهم ظلوا الى جانب النظم المقفى الموزون ناهيك عن تكلف الشعراء باستخدام النادر من الالفاظ واصطياد الغريب في اللغة ... الا ان بعض الشعراء ـ قبل الحرب الكونية الاولى ـ ١٩١٤ ابتكروا الشكل التكعيبي مثل التصوير التكعيبي فراح الشاعر بجيوم ابولينير ينظم شعرا تكعيبيا وقصيدته التي عنوانها « منطقة » الدليل فقد عبث بالمكان والزمان فيها دون تقيد بالتسلسل الطبيعي للمشهد ودون وجود وقت في المسافات المجتازة فكان العملية عملية شريط سينمائي عقلي وان العهود جميعها قد تحولت الى الحاضر خلال افعال مضارعة رامبو قال انما انا هو اخر ... » وكان التكرار في القصائد بين مقطع واخر يضفي على المقطوعة شيئا من مظاهر الابتهال ـ الدعاء ـ واتخذ الشعر شكل « نثر مرتل » كما عند بوب كلوديل الذي كان قد مس الايمان قلبه فاتخذ شعر صورة الصلاة ..

كذلك تجلى فيما بعد هذا النثر المرتل عند سان جون بيرس ولكن كلوديل الذي اسكره شعر رامبو في فصل في الجحيم ثار قبيل الحرب الاولى على آلية النظم ورسميات الشعر فاطلق حرية الشاعر واصبح يعتمد على

اطلاق الفكرة او الصورة وليس وحدة البيت وعلى الشاعر ان يكون حر الحركة وان يجد بنفسه ايقاعه الخاص ولغة بحره ... « الشعر هو اللغة البشرية وقد اعيدت الى ايقاعها الخاص » .

وسان جون بيرس الذي برز في الشعر الفرنسي في الاربعينات كشاعر ناثر وحاز على جائزة نوبل للادب عام ١٩٦٠ يعتبر رائداً في الشعر المنثور فقد جاء نثره وهو يحمل في جمله وسطوره ايقاعا فائقا في لغة العلم والتخصص وربط عناصر التعبير بشكل لا يتوقعه الخاطر .. وهكذا يعيد ترتيب العالم خارج اي مكان معين واي زمان محدود ومع بيرس وقف فيكتور سيجالين وغيره لاعادة الشعر الى منابعه الاولى الشعر المختلط بطقوس التقديس من خلال هذا الترتيب شبه المعقول لتنقلات الشعر الحر المنثور في مدرسة الغرب فرنسا وحركة تطوره يمكن ان تنفذ الى الشعر المنثور في اللغة العربية والذي هتف له واحتفل به اكثر من شاعر في العشر الاولى والثانية من القرن العشرين في بعض اقطار الوطن العربي ... ولعل عدوى هذا النوع من البوح قد تسرب الى الشعر العربي الحديث عبر منظور النهضة الفكرية الحديثة العربية فحاول بعض الشعراء وحتى المتقدمين منهم الكتابة بهذا النوع من «الشعر الحر» الذي لا وزن له ولا قافية ... مع انه في اصله ينسحب على شعر التفعيلة الذي يلتزم الايقاع كحد ادنى في سطوره الشعرية ... ولعل شعر التفعيلة العربي جاء الينا عبر تأثر الشعراء العرب بالشعرين الفرنسي والانكليزي ..

ولكن قصيدة النثر عند الفرنسيين هي قصيدة لا تخلو من الايقاع ولما كانت حالتها الشكل الهيئة شبيهة بالمقفاة الى حد ما فانه من المفروض أن تكون « مرتلة » موسقة وهي كذلك الا ان عدم انضباطها في قيود صارمة وروي وقافية جعلها تكتسح النظام وتجرف العقل بالخيال والانضباط بالفوضى وان اهم ما يميزها عن اختها الموزونة هو عدم انصياع الشاعر فيها لسيد او نموذج .. لقد نهل الشعر المنثور او النثر الشعري العربي من ينابيع الادب الغربي في العصر الحديث كذلك واكب جميع تطورات الحركات الشعرية في اتجاه المعاصرة والتجديد كذلك نرى ان المحاولات الشعرية العربية الاخرى في هذا الاتجاه اخذت تدخل في اعمال الشعراء الادبية فكتب امين الريحاني وجبران خليل جبران .. الشعر المنثور وهو النوع الذي مهد له الشعر المرسل الحر في الغرب وافرد له اصحاب الدوريات ورؤساء تحريرها حيزا لائقا في صحفهم ونشاطاتهم الادبية والفكرية ... ولكن كيف كان يكتب هذا الشعر ... سؤال لا بد منه ولكن الاجابة عليه قد تحتاج الى حجم كتاب عديد الصفحات ولكن باختصار نقول بان هذا النوع خاليا من الوزن والموسيقى خلوا تاما اي ان الشعر المنثور العربي لا يعتمد ابدا على الاوزان الخليلية او اية اوزان اخرى انه مجرد نثر مكثف موضوع على السطر بشكل لائق وفني وهو اليوم شبيه بذلك اي ان الجملة الشعرية فيه هي في الاصل منثورة تنتهي بانتهاء السطر وتنتهي سيالتها العصبية اللغوية بانتهاء الفكرة او الصورة وكانت تضبطها اي الجملة في دائرتها الصيرورية البلاغية والجمل البلاغية احيانا وكثيرا ما كانت تجمد حركتها الفنية صرامة التركيبات النحوية او الصرفية الى جانب انسفاحها على جروف الرومانسية الحزينة الا ان الوضع الذي كان ينقدها والكلام لا زال عن المقطوعة النثرية هو انها كانت تحمل في اعماقها مواضيع هادفة احيانا تتجلى في وحدة القطعة ووحدة الموضوع ووحدة الصورة المؤطرة في الفكرة الواعظية التي كانت تنحو في اتجاهها عقلية الشعراء خلال المرحلة الاولى من عصر النهضة العربية .

كان الشعر المنثور غير هياب ينتشر على صفحات الدوريات .. واننا نجد ان اشد المجلات محافظة على القديم والخليلي بالنسبة للشعر والكتابة الشعرية واقواها تعصبا للقصيدة التقليدية هي مجلة « الرسالة من ١٩٣٢ ــ ١٩٤٩ » رئيس التحرير احمد حسن الزيات القاهرة القطر العربي المصري ــ كانت هذه المجلة ــ وبعدها الثقافة لاحمد امين ــ تفرد للشعر المنثور العربي او النثر الفني حيزا جيدا وتحتفل به شانها شأن باقي الدوريات الاكثر اعتدالا بالنسبة للتجديد :

كالمقتطف ، مصر ، الانسانية ــ دمشق ــ في الثلاثينات فكان المسؤولين والمشرفين على الدوريات والمؤسسات الثقافية آنذاك ارادوا ان يكون الشعر والنثر ملتحمين متعايشين متحالفين .. « يمكن العودة الى كتاب اوراق الورد لمصطفى صادق الرافعي لنتلمس مدى صحة هذا التحالف او المعايشة » مع ان الرافعي لم يسمه شعرا منثورا لتعصبه للقديم الشعري .

وما دام الشعر الحديث جاء كتعبير دقيق لازمات الشعور في الواقع فهو من طرف يرفض العالم أو هو يختبره ومن طرف يعمل لافتتاح العالم الخارجي فهو بالضرورة الحضارية لا بد له من البحث عن اشكال جديدة ليسكب فيها غضبه بدل حبسه في اشكال سابقة ولما كانت الحرية هي هم الانسان في العصر الحديث فان شاعر العشرينات بعد ان توضحت له بعض معالم الطريق الشعري الحديث لجأ الى اشكال شتى جديدة كانت تدفعه اليها لوازم العصر ومبتكراته ومواقفه فكانت مجموعات جبران النثرية « دمعة وابتسامة وغيرها » ومجموعات نثرية اخرى ظهرت في العشرينات نذكر منها « نسمات وزوابع لنقولا يوسف الاسكندرية » وفي اول الثلاثينات « الظما لعلي الناصر حلب » وكتابات « بديع فريد موح في مجلة الانسانية عام ١٩٢٤ » وهو من حمص حتى اننا نجد تعبيرا صحيا ل « مي زيادة » الكاتبة المشهورة تضع النثر بمصاف الشعر ولعلها باحت بهذا التعبير كدعم للشعر المنثور الذي بدات ظواهره الجيدة في بعض الاعمال الادبية تنمو وتتسامى فقد كتبت مي في كتابها « الصحائف » عام

١٩٢٥ ما يلي :

وما النثر الا شعر افلت من اقيسة الوزن الضيقة غير انه لا يكون مرضيا الا اذا خضع لنواميس الانشاء بما فيها من توازن الجمل وموسيقا الالفاظ وسرد الافكار بسلاسة وسذاجة فالنثر إذن شعر حر ويتسنى لكل كاتب إن يكون شاعرا في نثره .

ا نهذا الكلام لمي عبارة عن ذعوة صريحة الشعر المنثور وفي باطنه تكريس هام لهذا اللون من الادب الجديد وان بدا في ظاهره تدعيما للنثر الجيد الذي تتمناه الكاتبة او تطمح اليه .

لقد إستجاب للشعر المنثور بعدئذ الكثير من الشعراء والكتاب فها هو خليل هنداوي ينشر في مجلة الرسالة القاهرة العدد «١٦٣» ١٧ اغسطس ١٩٣٦ مقطوعة « فجر القبرة » تحت عنوان كبير من الشعر المنثور وايايا شاغوري من دمشق في مجلة الانسانية دمشق ومرداد الشطي دمشق في مجلة « المكشوف ــ بيروت العدد ١٩٢ في ٢٧ اذار ١٩٣٩ ــ العدد الخاص بالنهضة الثقافية في سورية ــ » و « يعقوب شيبوب في مصر المقتطف » و « محمد حسن عواد ــ في الحجاز السعودية » وغيرهم .. بحيث كانت المقطوعات الشعرية النثرية تهتم في مضمونها بالوصف لبعض مشاهد الطبيعة ممزوجة بهتفات النفس والذكرى والاسى ، اي كان البوح فيها ذاتيا وكثيرا ما كانت تهتم بالفردية والرؤى الميتافيزيكية ــ والرومانسية المغرقة .. ثم السرد اللغوي والتأكيد على الصور البلاغية في الإكثار من الجناس والطباق والتشبيهات .. ولكنها من جانب اخر كانت عاجزة عن اللحاق بالقصيدة الخليلية وشموخها العربي .

كانت المقطوعة النثرية خاضعة لمؤثرات القصيدة الاجنبية المترجمة إلى العربية ، ولكنها في الوقت نفسه كانت تؤكد وجودها وتعلن عنه بين الفينة والفينة يمارسها من بلغ حدا جيدا من الوعي الثقافي والادبي ، وامتلك خيالا وثابا يستطيع به التعبير أو عبره عن هومه الفردية ، بيد ان الشعر المنثور هذا ظل يراوح في مكانه خلال المرحلة الاولى التي نشأ فيها كلون من الوان الادب مقبول الى حد ما تستقبله الدوريات ولكن في كثير من التحفظ ، ولكن هذا النوع من الفن الادبي قوي ، وجرى نسغ الحياة في شرايينه ووقف بقامته الواضحة بدءا من اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات فوسعت له الدوريات امكنة بارزة على صفحاتها وشجعت على نشره نظرا لدخوله حيز الواقع وابتكاره فنونا كتابية تبشر بالحداثة ، على رأس تلك المجلات كانت الاديب لمنشئها إلبير اديب فمنذ صدورها في اول العام ١٩٤٢ اخذت تعنى بالشعر المنثور عناية فائقة وتنشر منه اجوده واعلاه مستوى ، ولعل اختصاص منشئها البير اديب وولعه وهو الشاعر الناثر المثقف المولود في المكسيك العائد الى مصر فلبنان حفزه لان يعتني بالشعر المنثور وله مجموعة شعرية نثرية بعنوان لمن عام ١٩٥٢ فيكون البير اذن رائدا من رواد هذا اللون في الادب العربي المعاصر ، والذي اسماه بالشعر الطلق واطلق عليه بعض النقاد العرب اسما آخر هو الشعر الرمزي لان هؤلاء لمسوا فيه صياغة وتغيرا لم يألفوهما في الشعر العمودي او الموشح ، وينظم في غالب الاحيان مجردا من القوافي والاوزان وهو لا يعتمد في تعابيره قولا دائرا بين ذاتين ، وانما عبارة عن خواطر منبعثة حول الذات وانطباعات مرسلة تشع بها هذه الذات الواحدة في عالمها اللاشعوري .

لقد احتفل الادباء من مختلف البيئات والنزعات والمدارس ب « لمن » وإستقبلوها بمراسم لائقة واكثر النقاد والدوريات من الكتابة حولها مرحبين لا بصفتها نثرا او مجموعة مقالات او غير ذلك وانما لكونها شعرا طلقا ورمزيا حتى ان اشد النقاد والشعراء حماسة للعمودي الخليلي تفضلوا وكتبوا عن مجموعة « لمن » وصنفوها في دائرة الشعر الحر ..

إن الشعر المنثور الى هنا إكتسب صفة الشعر ودخل في طقسه إن لم يكن دخل جذوده الكلية بعد ، على العموم اخذ تسمية الشعر اكثر من المجموعات الشعرية النثرية على الساحة الادبية ، نذكر منها على سبيل العرض هنا بروق ورعود الدكتور داهش والنشيد التائه لثريا عبد الفتاح ملحس وثمالات الياس خليل زخريا وكتابات فؤاد سليمان وسمية حموي في لبنان ، فكان لبنان كان بؤرة للشعر المنثور كرس ادباؤه جل اعمالهم له على مر الايام منذ فجر النهضة العربية ، شاركه القطر العربي السوري ببعض المجموعات الشعرية النثرية كاغاني القبة لخير الدين الاسدي حلب عام ١٩٥٠ واغان بوهيمية لسليمان عواد وبعض كتاباته في الدوريات اللبنانية والسورية أواخر الاربعينات اللذي أصدر كآبة والتسكع والمطر في اول الستينات وكان قبلا نشر مقطوعاته النثرية مع العواد اواخر الاربعينات وحزن في ضوء القمر للشاعر محمد الماغوط واوراق جريحة لالياس الفاضل واشياء عذبة لصالح درويش وغيرها .. اذن ومن خلال تأملنا في انتاجات الخمسينات واوائل الستينات الادبية فيما يتعلق بالشعر المنثور نرى ان القطعة لم تعد تستجدي التكلف والسرد والمشاعر الكآبية وبالتالي الصور الذهنية ، وانما اخذت ترقى الى مستوى الشعر أيحاء وعمقا ولغة ومضمونا اصبحت تحاذي القصيدة بمفهومها الثقافي العلمي والبنيوي في معالجتها لهموم الانسان العربي المعاصر .. وأدخل الشعراء في جسدها دما حارا جديدا فاصبحت اللفظة الشعرية منتقاة تلائم في وضعها على السطر طقس الشعر وتدخل في اعصابه لم تعد الكتابة في المقطوعة النثرية مجرد كلام وتحجير وقولبة ، وانما بدات تتغلغل الى داخل الاشياء ترى العالم الخارجي من الداخل ، واعتبرت الكلمة رمزا اكثر من معنى والشاعر والناثر حملها اكثر من ما تحمله في الاذهان ثم زاوج بينها وبين شقيقاتها طلبا للتوتر والزخم والانسجام ، ونوع من الايقاع اللفظي لاخر الكلمة

او الجملة ثم ابتعد عن التقريبية ولجأ الى المفاجآت والعنف وحركية الصور ليوقظ حساسية القارىء ، وليضعه في مناخ شعري انساني يحمله الى عالم سحري موعود.

لقد أحس القارىء العربي انه امام نوع ادبي جديد يحمل تعابير هي أقرب الى الشعرية منها الى النثرية ، بل هو نوع فني يدل على تجربة انسانية حية ، محضة ، في اتجاه اكتشافات حقيقة الوجود في وحدة ناطقة متحركة ، لكن شكلها البنائي ظل في طرف النثر ، يقول « ادونيس »:

« ان النثر كما يمارسه هؤلاء شعراء قصيدة النثر ، انما هو نثر اخر ما نزال ننتظر الناقد البصير الخلاق الذي يكشف لنا عن اسنه الفنية ، وآفاقه الجمالية ، واذا كان بعضهم يقول ، باصرار ، انه ليس شعرا ، فمن الممكن القول باليقين نفسه ، انه كذلك ليس نثرا ، وانما هو نوع كتابي جديد .. » ولكن « قصيدة النثر العربية » التي ظهرت بعد الخمسينات مع الشعر الحر الحديث ، التفعيلي التوقيعي ، مرافقة لحركات التحرر الوطني والقومي في اتجاه التحرر والتحول الى الديمقراطية الصحيحة ، اخذت تعي ذاتها ، وتقف مكتشفة ، بالضرورة التطورية ، والضرورة الزمنية المستقبلية ، الحس الانساني وطموح الانسان الى الارتقاء بافكاره واحاسيسه واقامة جدلية التواصل والبناء لخير المجموع ضمن مقومات جمالية جديدة ، ومقومات فكرية بمستوى ثقافي يتلاءم ومتطلبات الحياة المتقدمة نحو تغييرات جذرية في البنية الاجتماعية من جهة ، والتركيب العلمي من جهة ثانية .

لقد تطور مفهوم « الشعر المنثور » الى « قصيدة النثر » وتؤكد على كلمة « قصيدة » بالذات عبر الستينات والسبعينات باتجاه الحداثة ، وقدم الشعراء جهدهم المشكور الثقافي وغير الثقافي في عملية تأهيل هذه القصيدة لتتبوأ الواجهات الادبية ، ولهذا نذكر من هؤلاء الشعراء على سبيل العرض : على احمد سعيد (أدونيس) انسي الحاج ، وجماعة مجلة شعر المحتجبة ، وفاتح المدرس ، حامد بدرخان ، سليمان عواد ، محمد الماغوط ، سنية صالح ، امل جراح ، ياسين رفاعية ، نوري الجراح ، عائشة ارناؤوط ، مصطفى النجار ، صدر الدين الماغوط ، اسعد الجبوري ، وفيق خنسة ، علي عبد الكريم ، رياض الصالح حسين ، محمد عمران « في كتابه الملاحة » بندر عبد الحميد « في المغامرات » واسماعيل عامود . ولكن هل وصلت « قصيدة النثر » الى المكان الذي يجب ان تقف فيه على انها بالفعل جوهر شعر يمكن التأسيس عليه والانطلاق منه للكتابة الشعرية العربية ؟؟ الجواب : هو إنه حتى الآن لا تزال هذه القصيدة في طور التجريب ولو انها في مضمونها تتبنى الفكر التقدمي العربي ، يقول الشاعر ادونيس في آخر كتاباته حول المنثور الشعري : « لا ابالغ اذا قلت ان في هذا المنثور الشعري شعرا لا يضاهيه الا القليل مما نعرفه من الموزون . بل ان ثمة نماذج من هذا المنثور هي التي يجب من الان فصاعدا أن تكون منطلقا للكتابة الشعرية العربية ، وتبعا لذلك ارى ان الموزون الشعري لا يمثل وحده الشعرية العربية ، وعالمها ، وانه لا بد، للكشف عن هذين ومعرفتهما بعمق، من دراسة المنثور الادبي ايضا وهنا تحضرني ذكرى قراءة فصل من كتاب « الايك والغصون » لابي العلاء المعري وهو في شكله وحتى مضمونه قريب . من « النثر الشعري » ابتكر فيه المعري فنا جديدا في النثر يشبه التسميط في الشعر اي الذي تتنوع فيه القوافي ويلتزم قافية بعينها في نهايات المقاطع ، فهل هذا الذي نبتكره من فن كتابي في « قصيدة النثر » يضر يا ترى بمجتمع الشعر العربي في عصرنا الراهن والمستقبلي ؟؟ وهل هذا المولود الجديد يلغي لغتنا القومية الخالدة ، ام انه يرفدها .. وبالتالي ، هل يزيح القصيدة الخليلية عن الدرب ..؟؟

اعتقد .. ومعي كثيرون .. ان العداء للقصيدة النثرية ، يجب أن لا يكون ، والا اتهمنا بالجفاف والقحط وبعدم القابلية للتطور ومواكبة حضارات العالم ..

عن جريدة تشرين بدمشق — **اسماعيل عامود**

* * *

حبيبتي

*

*

محمد سعد بيومي

بور سعيد ـ مصر

حبيبتي
طال التياع القلب في الشوق
وفي السفر الطويل
فانتظريني فوق شاطئك الجميل
وتصببي فرحا ..
وغني للهوى .. وتبختري
بزغ الحبيب من الرحيل

حبيبتي ..
آت من السفر الجليل
تحملني الآمــال ..
والحلم النبيل
والحب يجري في عروق القلب
والاشواق تلهث من سبيل
لسبيــــل
فتناسلي الضحكات
والمرح الفقيــد
وزمني الجسر العليل
وانتظريني فوق
شاطئك الجميل
نستمطر الشوق من الاصيل الى الاصيل

محبوبتي :
طال الغياب والفراق موج موحش
ورسائل الاشواق سالبة
وانت بخيــلة
ولم اكن ابدا بخيل
والقلب يا محبوبتي
ما زال يستقبل منك
ويرسل الانفاس فوق المستحيل

محبوبتي :
طال التياع القلب من ابحارنا .. فانتظري
قادته مراكبي ، وزيني المرافىء التي حلمنا
بالرسوّ في .. صفائها الظليل
وانتظري فوق شاطئك الجميل
كفراشة فتحت جناحيها لنجم الحب بعدما طال الفراق
وبعدما طال الذبول

محبوبتي :
حنت بلابلي ، وهام في رياضك القلب
وتاهت في قصتي كل العقول
في غربتي كنت الدليل
والان غربتنا تلاشت .. قادم بالحب
بالتحنان بالثمر الاصيل
فانتظريني فوق شاطئك الجميل

النغمة الشاردة

بقلم حسني سيد لبيب

اتاها صوته عبر اسلاك الهاتف ، تغيب اسبوعا كاملا ، وها هو يطلب الصفح، ويحددمساء اليوم لزيارتها. فياله من لقاء يحين بعد سبع ليال عجاف أرقها السهر ، وازعجتها الوساوس !

تهيات للقائه . جلست قبالة المرآة ، تتزين ، وتضع اللمسات الاخيرة . انها لا تسلم من انتقاداته ، وكثيرا ما تستشيره في كل ما يجد من ثياب ، او عطر ، او تسريحة .. وتعجب للاحظاته الذكية التي تصغي لها ، وتعمل بها . ويخيل اليها ان نظارة صبري السميكة تضفي عليه صفة الفاحص لدرة ثمينة، في حرص شديد وتقدير بالغ لقيمتها . ويا له من احساس جميل طرأ على مخيلتها فأرتاحت له .

حضر في وقت متاخر من المساء ، وعلى شفتيه إبتسامة عريضة . واعتذر عن تاخره قبل ان تنطق بكلمات العتاب ..

ـ غبت عنك لانشغالي بك !

ـ كيف ؟

ـ الا ترين ان اهتمامي بتأثيث الشقة اهتمام بك ؟

ـ بلى .

ـ تعرفين اين تحصلت على البوتاجاز بعد تعب ، كذلك الانبوبة. قادتني الصدفة الى صديق ، اتضح انه مدير الشركة ،فسمح لي بتخطي دوري ، الذي لن يحين قبل ستة اشهر ، لكنه اكراما لي ..

قاطعته :

ـ حصلت عليها اذن .

ـ أنتظري . لم يعطني الانبوبة الا بعد مشقة . انه لا يزال بطبعه القديم ، يحب ان يستفيد من اي وضع . ولا يمكن أن يعطيني الانبوبة لاجل صداقة قديمة . أعرفه جيدا . دعوته لقضاء سهرة في السينما . وفي الصباح ، حدثني هاتفيا وقال ان الانبوبة تحت امري .

ـ مبروك يا صبري .

ـ انتظري . امر هذا الصديق على ان اتسلمها في الصباح ، ولم اجد مبررا لاصراره ...

وقطع سعالها حديثه ، بتاثير نوبة البرد التي استمرت ثلاث ليال قاسية . تحاملت حتى لا يلحظ ، واصغت لما يقول ..

ـ اعرفه جيدا . لا بد ان يشعرني بانه أسدى الي خدمة كبيرة ، وعانى فيها الكثير من المشقات . اضطررت للاستئذان من عملي، وذهبت الى فرع الشركة ، وقابلته فاستقبلني بحفاوة ثم طلب القسيمة .

ـ لم ؟

سالت متململة .

ـ ليغير تاريخ الاستلام ، فيكون حصولي على الانبوبة مناسبا لتاريخ شراء البوتاجاز .

عاودها السعال . دخل الاب فنهض صبري وحياه تحية خاطفة ثم جلس واكمل الحديث ..

ـ وبعد تسلمي الانبوبة .. اوه .. نسيت ... اشتريت لصديقي علبة سجائر كبيرة . شيء لا مفر منه . كاد يطلبها بنفسه . اعرف صديقي جيدا ، انتهازي جداً ، اناني لاقصى حد ، ويعبد القرش .. تبا لهذا الصديق ، اوه ، وهذا العصر المادي.

قال الاب :

ـ مبروك الانبوبة يا استاذ صبري .

ـ اشكرك .

واكمل :

ـ وكان نقلها مشكلة المشاكل ..

أستاذن الاب ، وترك صبري يحكي لعروسه كيف تم نقل الانبوبة. فشل في العثور على سيارة نقل . ومضى وقت طويل قبل ان يهتدي الى واحدة ، بالصدفة كما قال ، وساوم صاحبها الذي إصر على ان ياخذ جنيها كاملا ، واعقب :

ـ يا له من عصر مادي !

خلع النظارة ، ومسح عويناتها بمنديله الابيض النظيف . ابتسمت قائلة :

ـ المهم كسبت الانبوبة .

ـ كلفتني زيادة على ثمنها .. بقشيش ، وتكاليف نقل ، وعزومة.. حوالي ..

وضع النظارة على عينيه،ثم حملق في سقف الغرفة ..

ـ حوالي ثلاثة جنيهات .

ـ كثير .

ـ ونصف .

ـ لم تسمح لي بعتابك .

ـ طوال الاسبوع كنت مشغولا من اجل الانبوبة . اليس ذلك من اجلك ايضا ؟

ـ لست اعترض ، لكني اطمع في رؤيتك كل يوم ، اسبوع كامل وانا انتظر ..

شرد قليلا ثم قال :

ـ نسيت ان اقول لك: بقي المنظم والخرطوم . اخبرني صديقي انهما سيصلان بعد شهر . لا باس .

تململت في جلستها ، وانتابها صداع . لم يحاول اطراء جمالها ، هذه عادته ، انه لا يتكلم عن إناقتها الا عندما تشير هي الى ذلك .ودت لو تهيم معه في سماء الخيال ، تتوه معه في دنيا حلم وردي هادىء . ودت لو ياخذها الى رحلة في ليلة قمرية . ودت لو يستمعان الى اغنية عاطفية . ودت لو يموت صوت المنطق ، ولغة الارقام من ذاكرته ، ويفتح قلبه ، ويعبر عن عواطفه ..

قصة

كاذبة

وراء عينيك اخبار ملفقة … اعارها الامس ظلا باهت الصور

تلجلج الجفن لما رحت عابثة … تروين ماكان من صفوي ومن كدري

وكم تحير في خديك لونهما … وراح لحظك يخطي وجهة النظر

كانما حدق العينين متهم … يلوذ بالهدب من خوف ومن حذر

اذا خلوت الى المرآة فاجتنبي … سؤال عينيك عما كان من خبري

وديع ديب

السعال لا يزال يؤرقها .. سأل :

ـ اتسعلين ؟

ـ اصبت بانفلونزا .

ـ لا بأس ، إصبحت مرضا عاديا يصيب الجميع . لا تاخذي بالك ، انا مصاب بها دائما ، لكني لا ابالي . اقضي حاجياتي ، واذهب الى العمل وهي تلازمني ..

ـ سجلت مجموعة اغنيات حديثة احب ان تسمعها معي .

ـ هل تسمحين بارجاء ذلك الى وقت آخر ؟

ـ لم ؟

ـ ساقابل صاحب العمارة الليلة واؤكد على الاتفاق .

ـ الم يعدك بتشطيب الشقة ؟

ـ بلى .. لكني غير مطمئن . يجب التأكيد عليه ، وشراء خاطره .. هكذا الناس .

واستاذن .

وحين همت بالبكاء ، امسكت عنه ، وجفت الدموع في مآقيها ، لكن مسحة الحزن لم تزل تطوف كالغيم على محياها .

شكت لابيها ما تعانيه من صبري ، فطيب خاطرها ملتمسا له العذر ، ثم تمتم بكلمات غير مسموعة : مسكينة ابنتي . تحلم بدفء الحب ، والحب في هذا الزمان نغمة شاردة استعصت على اوتار العصر .

جلست قبالة المرآة ، وشخصت عيناها في الصورة المنطبعة على صفحتها الملساء . ولج الاب باب الحجرة ، رنا الى ابنته في اعجاب :

ـ انت جميلة !

تنهدت :

ـ اخيرا ، حصل صبري على انبوبة !

وقف الاب صامتا .. اكملت متلفتة اليه :

ـ ويبذل مساعيه ليتسلم الشقة الجديدة .

ـ ألم يقل لك متى يجيء ؟

ـ نسي ...

وكان في صوتها شيء من اللامبالاة .

القاهرة … حسني سيد لبيب

محمد العدناني

عثرات الأدباء

بقلم محمد العدناني

* * *

اربل لا اربيل

تقع مدينة اربل (بكسر الباء) العراقية على بعد نحو ثمانين كيلومترا الى الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة الموصل . وهي المدينة الاشورية الوحيدة ، التي ظلت آهلة بسكانها ، ومحتفظة باسمها (أربياو) .

ويطلق عليها سكان العراق الان اسم اربيل (بفتح فسكون) ، وتكتب في الاطالس كذلك .

ولكن الصواب هو اربل (بكسر فسكون فكسر) ، قال نوشروان البغدادي ، المعروف بشيطان العراق الضرير يهجوها :

يا لشيطاني وما سولا ... لانه انزلني اربلا

ثم قال معتذرا من هجائها :

قد تاب شيطاني ، وقد قال لي ... لا عدت اهجو بعدها إربلا

وممن ذكر ايضا ان اسمها هو اربل : معجم البلدان، وابو البركات المبارك بن احمد بن المبارك الاربلي ، المعروف بالمستوفي، ومؤلف تاريخ اربل ، والقاموس ، والتاج ، والمتن ، واعلام الزركلي (ثمانية اعلام « اربلي » توفوا بين عامي ٥٨٥ و٧٢٦ هـ) ، ومعجم المؤلفين (عشرون علما « اربلي ») ، والمعجم الكبير .

وذكر معجم المؤلفين مؤلفين ، احدهما هو احمد بن ابي بكر بن عبد القادر الاربيلي ، الشهير بثريا ، والمتوفى عام ١٩٠٧ ميلادي ، والثاني هو ابو الحسن المشكيني الاربيلي ، المتوفى عام ١٩٣٩ م وكلاهما توفي في هذا القرن ، الذي يطلق المعاصرون فيه على هذا البلد اسم اربيل . ولكن صاحب معجم المؤلفين لم يضبط كلمة (الاربيلي) بالهمزة والحركات .

ويقول معجم البلدان ، والتاج ، والصاغاني في القباب، والمتن : « ان اربل ايضا هو اسم لمدينة صيداء التي على ساحل بحر الشام » .

وسأظل اخطىء كل من يطلق على هذا البلد اسم (أربيل) ، ما لم يوافق على ذلك اتحاد مجامعنا ، او احدها .

عطر الورد الغرفة لا ارجها

ويقولون : أرج (بتضعيف الراء) الورد الغرفة .

والصواب : عطر (بتضعيف الطاء) الورد الغرفة ، او عبق (بكسر الباء) أريج الورد بالغرفة ، او : فاح أرجه (بفتح الراء) في الغرفة ، لان من معاني أرج (بتضعيف الراء) :

(ا) ارج بين الناس : اغرى وهيج .

(ب) ارج بالسبع : صاح به وزجره .

(ج) أرج فلان النار : أوقدها . ويقال : ارج الحرب: اثارها .

(د) ارج الامر (بفتح الراء) : روجه واشاعه .

اما تأرج الطيب فمعناه : فاح . وتأرج المكان : انتشر به الطيب . قال البهاء زهير :

وتفتحت ازهاره ... فتارجت من كل جانب

التاريخ التاريخ ، التوريخ

ويخطئون من يقول : تأريخ ، ويقولون ان الصواب هو : تاريخ . والحقيقة هي ان الهمز (تأريخ) وتسهيله (تاريخ) جائزان .

وقد ذكر الوسيط ان التاريخ هو جملة الاحوال والاحداث التي يمر بها كائن ما ، ويصدق على الفرد والمجتمع ، كما يصدق على الظواهر الطبيعية والانسانية . وهو التعريف الذي وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وذكر المجمع ايضا ان التاريخ هو تسجيل هذه الاحوال .

وممن اجاز استعمال كلمة التاريخ: هامش التهذيب، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

وممن اجاز استعمال التأريخ : التهذيب ، واللسان والمصباح ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ،

والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

وممن اجاز التوريخ : الصحاح ، والمغرب ، والمختار، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وقد ذكر المصباح والتاج ان كلمة (التوريخ) قليلة الاستعمال .

قراءة التاريخ وقراءة الاعداد

يؤرخ العرب بالليالي ، لسبقها في حسابهم ، اذ الشهور المعتمدة عندهم قمرية ، واول الشهر القمري ليلة، وآخره نهار . فاذا انتهت الليلة الاولى من الشهر ، قالوا : كتبت (بضم الكاف) لليلة خلت ، ثم لليلتين خلتا ، ثم لثلاث خلون ، الى ان تنتهي عشر ليال ، فيقال : لاحدى عشرة خلت ، او لثلاث عشرة ، الى ان تجيء ليلة نصف الشهر ، فيقال : كتبت للنصف من شهر كذا . ويصح ان يقال : لخمس عشرة خلت ، او بقيت ، والاول اعلى ، واكثر شيوعا على السنة الفصحاء . ثم يقال في اليوم السادس عشر : لاربع عشرة ليلة بقيت ، الى اول العشرين فيقال : لعشر بقين ، او لتسع بقين من شهر كذا ، وهكذا الى ان تبقى ليلة واحدة ، فيقال : لليلة بقيت ، فان مضت وبقي نهار اليوم الاخير ، يقال كتبت لآخر نهار منه . واذا قيل : لاخر ليلة منه او اخر يوم منه، دل هذا على ان الشهر القمري كامل (ثلاثون يوما) .

ويصح وضع تاء التانيث مكان نون النسوة ، والعكس في كل موضع يراد فيه التحدث عن عدد مدلوله جمع لا يعقل .

وعندما يقراون السنوات والاعداد الكبيرة، يرون ان قراءتها من اليمين الى اليسار افصح ، فيقولون : ولد غالب في العاشر من اذآر عام خمسة وسبعين وتسعمئة والف ، وعندي ثلاث وتسعون وخمسمئة والف ابرة .

هذه هي خلاصة آراء النحاة عامة ، وآراء اصحاب النحو الواضح والنحو الوافي خاصة .

وانا ارى ان الافصح هو ما اعتدناه من قراءة الاعداد والتواريخ من اليسار الى اليمين ، ما دام ذلك قد سمح لنا به ، وما دام العرب كافة ، من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ، يقراونها من اليسار الى اليمين فيقولون : ولد غالب في العاشر من اذار عام الف وتسعمئة وخمسة وسبعين ، وعندي الف وخمسمئة وثلاث وتسعون ابرة .

علينا ان نستعمل الصحيح المالوف ، ونجتنب استعمال الصحيح غير المالوف ، وان اجمع النحاة واللغويون على انه الافصح .

الردهة لا ارض الدار

ويطلقون على مدخل البيت الذي تفتح عليه حجراته وطرقاته اسم ارض الدار .

ولكن : جاء في المجلد التاسع من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، التي اقرتها لجنة الفاظ الحضارة ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر المجمع، بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي ، في الجلسة الخامسة للمؤتمر ، بتاريخ ٤ شباط ١٩٦٧ ، في المادة رقم ٨٣ ، ان المؤتمر وافق على ان نطلق على مدخل البيت اسم الردهة (بفتح فسكون) ، او الصالة ، أو الفسحة (بضم فسكون).

وعندما ظهرت الطبعة الثانية من المعجم الوسيط في عامي ١٩٧٢ و١٩٧٣ ، لم تذكر فيه سوى الردهة ، ولم يقل (بضم الياء) عنها انها مجمعية ، بل قيل انها محدثة ، واهمل ذكر الصالة والفسحة ، مما يفرض علينا ان نضرب عنهما صفحا .

صاروخ ارض جو او جو ارض

ويخطئون من يقول : هذا صاروخ ارض جو (بكسر الكلمتين وتنوينهما) ، او صاروخ جو ارض ولكن : قالت لجنة الاساليب ، التابعة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في مؤتمره ، في دورته الثالثة والاربعين ، ما يأتي :

« يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : صاروخ ارض ارض او ارض جو ، او جو جو ، او جو ارض ، وهو تركيب يخفي وجه ضبطه وتخريجه . درست اللجنة هذا التركيب ، وانتهت الى ان المعنى فيه : انه صاروخ ينطلق من الارض الى الجو ، او من الجو الى الارض ... إلخ .

كما انتهت الى انه من اساليب الاضافة : فالكلمة الاولى هي صاروخ ــ تضبط على حسب موقعها في الجملة، وهي مضافة الى كلمة جو او ارض ، التي هي ايضا مضافة الى ما بعدها .

لهذا ترى اللجنة اجازة هذا التعبير في المعنى الذي يستعمل فيه .

وافق المؤتمرون على هذا القرار ، مع ملاحظة ان الاضافة في التعليل على معنى اللام ، اي : صاروخ ارض لارض ..

الاردن والاردني (بتشديد النون فيهما)
والاردن والاردني (بتخفيف النون فيهما)

ويقولون : الاردن والاردني (بتخفيف النون فيهما) والصواب عندهم : الاردن والاردني (بتشديد النون فيهما) .

والاردن (بتشديد النون) نهر في فلسطين يجري من الشمال الى الجنوب . ويطلق الاردن (بتشديد النون) على البلاد الواقعة شرقي هذا النهر . وقد جاء في كتاب عمر ــ رضي الله عنه ــ الى ابي عبيدة وهو بالشام ، حين وقع بها الطاعون : « ان الاردن (بتشديد النون) ارض غمقة ، وان الجابية ارض نزهة ، فاظهر بمن معك الى الجابية » . (الغمقة : الكثيرة المياه الرطبة الهواء . والنزهة : خلاف الغمقة) .

وقال ابن السكيت في « اصلاح المنطق » وعلي راتب في « تذكرته » : الاردن بالتثقيل وضم الهمزة . وابن

قتيبة في « إدب الكاتب » يضع على النون شدة . والمتنبي خاطب بدر بن عمار بقوله :

امطر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت على الاردن منه بلية نضدت بها هام الرفاق تلولا

(بتشديد نون الاردن)

وقال ابن الجوزي في « تقويم اللسان » : « الاردن بضم الالف (الهمزة) وتشديد النون ، والعامة تفتح الالف وتخفف النون » .

والمعجم الكبير ، الذي أصدره معجم اللغة العربية بالقاهرة ، لا يذكر في الطبعة الاولى الا (الاردن) بتشديد النون نهرا وبلادا . ولكنه يذكر ان النون تخفف ، واستشهد ببيت عدي بن الرقاع :

لولا الاله واهل الاردن اقتسمت نار الجماعة يوم المرج نيرانا

وهذا يعني ان تخفيف النون في (الاردن) هو ضرورة شعرية ، لانني لم اعثر على نونه مخففة في النثر ، في مصدر يوثق به . ولكنني اقترح على مجامعنا الاربعة اجازة تخفيف النون في (الاردني) ، تجنبا للتلفظ بحرفين متجاورين مضعفين ، ووفقا لدعوتي الى اجازة استعمال بعض الضرائر الشعرية في النثر ، رغبة في تقليل الشذوذ في اللغة العربية .

ملحوظة : وجدت في اللسان ، بعد ان انتهيت من كتابة هذه المادة ، في مادة (ردن) ما يأتي : والاردن (بتضعيف النون) أحد اجناد الشام ، وبعضهم يخففها ، وهذا يريح مجامعنا من معالجة اقتراحي ، ويريحني .

الارومة (بفتح الهمزة وضمها) والأروم (بفتح الهمزة)

ويخطئون من يسمي اصل كل شيء ومجتمعه : ارومة (بضم الهمزة) ، ويقولون ان الصواب هو بفتحها ، اعتمادا على قول النهاية : (وفي حديث عمير بن أفصى : « انا من العرب في أرومة (بفتح الهمزة) بنائها ، وقد تكرر في الحديث) ، وعلى قول بشار بن برد :

كرمت ارومته ، وإشرق وجهه وصلت خلائقه من الاكدار
(بفتحها)

وعلى قول ابي الطمحان (شرح الحماسة للمرزوقي ، صفحة ١٥٩٨) :

فإن بني لام بن عمرو ارومة سمت فوق صعب لا تنال مراقبه
(بفتحها)

وعلى الفاظ ابن السكيت (باب الاصل والكرم) ، والالفاظ الكتابية (باب في كرم المحتد والاصل) ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ، والتهذيب (انكر ضم الهمزة) ، والحريري في المقامة الإسكندرانية (من اكرم جرثومة ، واطهر ارومة) ، والمعجم الوسيط .

ولكن : اجاز الارومة (بالفتح والضم كليهما) كل من اللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير .

وذكر التاج والمد ، والمعجم الكبير ان ضم همزة (ارومة) لغة تميمية . واخطأ اللسان حين قال ان اللغة التميمية هي فتح الهمزة لا ضمها .

واكتفى الاساس بذكر الارومة (بالضم) ، واخطأ المعجم الكبير حين نقلها عنه مفتوحة الهمزة .

وهنالك كلمة ثالثة تحمل معنى الارومة هي : الأروم (بالفتح) : الصحاح ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

قال عمير بن شييم القطامي :

بني لك عامر وبنو كلاب اروما ما يوازنها اروم
(بفتح الهمزة فيهما) .

وتجمع الارومة على : اروم (بضمها) . قال زهير بن ابي سلمى :

له في الذاهبين اروم صدق وكان لكل ذي حسب اروم
(بضمها فيهما) . وقال جرير يمدح هشام بن عبد الملك:

ومن قيس سما بك فرع نبع على علياء خالدة الاروم (بضمها)

اشترى ازارا جديدا او جديدة

ويخطئون من يقول : اشترى ازارا جديدة (الازار: ثوب يحيط بالنصف الاسفل من البدن ، ويقابله الرداء ، وهو ما يستر النصف الاعلى) ، ويقولون ان الصواب هو: اشترى ازارا جديدا ، لان الازار مذكر ، اعتمادا على :

(أ) قول الراغب الاصفهاني في مفرداته : (الازار الذي هو اللباس) .

(ب) وقول الحريري في المقامة الشتوية :

وكم ازار لو ان الدهر البسه لجف لبد حثيث السير مضطرب
(جفاف اللبد كناية عن الاقامة والكف عن الارتحال، والسير الحثيث : السريع) .

ولكن : إجاز تذكير (الازار) وتأنيثه كل من اللحياني، وادب الكاتب (في باب ما يذكر ويؤنث) ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس (ويؤنث) ، والتاج (ويؤنث) ، والمد ، محيط المحيط ، واقرب الموارد، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

وقال المعجم الكبير : يؤنث الازار في لغة هذيل . اما قول القاموس والتاج : « ويؤنث » فيعني ان التذكير هو الاعلى والاصل .

والازر ، والمئزر ، والمئزرة عن اللحياني ، والازارة ايضا تعني الازار . ويجمع الازار على :

(١) أزر (بضم فضم) : لغة الحجاز ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(٢) وآزرة : الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(٣) وأزر (بضم فسكون) : لغة بني تميم ، واللسان

الـوردة الـذابـلة

ميلي باغصان النقا — وبمطرف الاخلاق ميدي
وتنشقي ارج الإزاهر — في بساتين الخلود
الطهر في خلق يلطف — نفحه عبء الجهود
واذا ارتوى من قطرة — فهو السعيد على الصعيد
يا وردة الطهر الجميل — وفتنة بين الورود
قد اذبلت زهراتك ال — ارياح في قصف الرعود
وتقلص الحسن المدل — على القنابر والقعود
فالورد ملتاع عليك — يغص بالحزن الشديد
فعلام حدت عن الصواب — بلوم واش او حسود
وركبت راسك للهوى — فهويت في القاع البعيد
بالامس كنت فريدة — بالفضل ، بالذكر المجيد
يختال روضك ان مررت — به على حسن فريد
لعبت بك الريح السموم — بالانحدار وبالصعود
وذوى شبابك عاجلا — والماء جف بكل عود
عودي الى حسنات امسك — واذكري عرف الورود
صبوني الطهارة والسمو — على الجبين ، على الخدود
تاجان فوقهما يرف — العز في خفق البنود
بالامس كنت نتيجة ال — اطهار بالراي السديد
عصر المعاصي حافل — بالموبقات وبالنكود
الروح خالدة وما — تفنى الجسوم من الوجود
بالموت تمسي رمة — وتزول وسوسة البرود
وعقاب ربك صارم — عما جنت ايدي العبيد
دار الخلود لذي التقى — هيهات تشرى بالنقود
توبي لربك وانفري — من كل ختال عنيد
ليكن دثارك بالتقى — والطهر والصيت الحميد

بكاسين ـ لبنان — جرجي نصر

(تعيمية) ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، والمتن ، والمعجم الكبير .

الأزر (بفتح فسكون)

ويخطئون من يقول : الازر (بفتح فسكون) هو الضعف . ويقولون ان الازر هو القوة ، معتمدين على :

(١) قوله تعالى في الآيات ٢٩ ـ ٣١ من سورة طه : اشدد (بضم فسكون فضم فسكون) . ازري : بفتح فسكون ، اي : قولي .

(٢) اكتفاء الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار بقولهم : الازر : القوة .

(٣) وقول مفردات الراغب : الازر : القوة الشديدة.

(٤) وقول المصباح : آزرته مؤازرة : اعنته وقويته . والاسم : الازر (بفتح فسكون) .

(٦) وقول الوسيط : الازر : القوة .

ولكن : قال ابن الاعرابي ، ولسان العرب، والقاموس والتاج ، ومد القاموس ، ومحيط المحيط ، والتضاد للدكتور ربحي كمال : ان كلمة الأزر تعني الضعف ايضا .

ولهؤلاء الاعلام المؤلفين وزن لغوي كبير ، ومع ذلك انصح بالاكتفاء باستعمال كلمة (الازر) بمعنى القوة ، واهمال استعمالها بمعنى الضعف ، الا اذا اضطرتنا حاجة ماسة عروضية او بلاغية الى ذلك . وحسبنا ان ابن الانباري اهمل ضمها الى اكثر من أربعمائة كلمة متضادة ، في كتابه النفيس « الاضداد » .

بيروت ـ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٢

محمد العدناني

على اطلال افاميا

يا قصورا رؤوسها بارزات ... وهي تحت الرمال والاوحال
حدثينا (افاميا) عن عهود العز والمجد والهوى والجمال
قبل ان يدفن التراب مغانيك وتهوي فريسة الزلزال
شمخت في القديم فوق البرايا ... وتسامت على رؤوس الجبال
وتعالت على فنون المباني ... في صمود معاند للزوال
فالعواميد سامقات على السحب تباهي عرائس الازال
تتجلى تيجانها كصبايا ... ضافرات الشعور في ادلال
تتحدى الازمان جيلا فجيلا ... ناهضات كنهضة الابطال
نظمت في صفوفها كسرايا ... من جنود تسير نحو القتال
بينها الشارع العريض تمادى ... كتمادي الاوهام والامال
والمباني الضخام كانت على الدهر منارا لرفعة وجلال
روايات عن اهلها قصص المجد مقيما على مرور الليالي
نثرتها الاحداث فوق البراري ... غمرتها الايام تحت الرمال
زاخرات بالفن تخبر عن ما ... ضي علوم وقوة واحتمال
شاهدات بان من كان فيها ... كان شعبا مرفه الاحوال
فكاني اراهمو في قصور ... ودروب وضجة واحتفال
يدرسون العلوم والفن والفكـ ... ـر ويمشون بينها باختيال
رقصهم يطرب الدياجي فتهفو ... لتواديهمو النجوم العوالي
والصبايا كواكب في الاماسي ... تتهادى عرائسا باللآلي
وكاني ارى القلاع الحصينا ... ت تلظت بالجحفل المختال
تدفع الجند للقتال فتعدو ال ... خيل تحت الرايات بين النصال
فترد العدو نحو انحدار ... وتصون البلاد بالاجلال
وتعيد الحياة اعياد نصر ... ورفاه في عزة استبسال
بينما القوم في النعيم دهتهم ... عاصفات رهيبة الاهوال
وتهاوى الزلزال يدفن شعبا ... دون وعي بغضبة وانفعال
كان حيا مرفها في صباح ... وهو ميت في هداة الاصال
تتهاوى الصخور فوق الرجال ... فوق هام النساء والاطفال
والعواميد راكعات خشوعا ... ساجدات لربها المتعالي

فكان لم يكن هناك انيس ... وجليس في وادعات المجالي
يا (افميا) لم ينفع الصلد بنيانا متينا مدعم الاوصال
حين تدنو الاجيال نحو المنايا ... فالمنايا هدامة الاجيال
اتموتين يا (افميا) ؟ فلهفي ... لبقاياك يا عروس الخيال

الجفر ـ الاحساء ـ السعودية

علي دمر



وحيد الدين بهاء الدين

جورج صيدح وناقد من مصر

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

***

لو لم يكن جورج صيدح : الشاعر الناثر معا ، يمثل في مستوى واحد ، ذلك الطراز الفريد ، من الشخصيات الشهيرة باصالتها وملكاتها ، لما اتجهت اليه الانظار والابصار ، ولما رحبت به اجهزة الثقافة والصحافة هنا وهناك ، ولما سعى اليه الادباء والمفكرون من فجاج المهجر ، وعلى امتداد الوطن العربي ، باللقاءات والمكاتبات ..

وبداع من اصداء هذه الشهرة الطائرة التي احرزها جورج صيدح ، عبر مسيرة حياته الطويلة ، اتصل به ، وتعرف اليه الكثيرون ، كان منهم ابو طالب زيان واحد من كتاب مصر المغمورين غير المعروفين ، حتى انه الح الى ذلك كله بقوله : « تربطني بالشاعر المهاجر : جورج صيدح ، صلة ترجع الى خمسة عشر عاما او تزيد قليلا ؛ عندما راسلته ، ردا على هدية لي بكتابه « ادبنا وادباؤنا » وبعض دواوينه . وكانت الصلة على امتداد هذه السنين ، تاخذ نوعا من العمق في دراسة الشاعر واتجاها في كتبه شعره ومذاقه مما جعلني اتحدث واياه حديثا متشعبا حول الادب بعامة وادب المهاجر بخاصة مما كان له وقعه آنذاك (١) ... »

في عدد تموز من عام ١٩٦٥ وفي مجلة « المعرفة » السورية ، نشرت مقابلة ادبية اجراها ابو طالب زيان مع الشاعر والاديب المغترب : جورج صيدح ، وبداها قائلا : « لم يعد خافيا على الناطقين بالضاد مكانة الشاعر والاديب جورج صيدح ... » ثم مستطردا : « أن جورج صيدح الشاعر والاديب يتحدى الزمن ويجعل من قلمه نورا يهدي الادباء ويعمل على استمرار دولة الادب في المهجر ، بالرغم من المعاول التي تضرب في هذا الصخر . لكن دون جدوى . وحسبه كفاء ما قد قدم من زاد الى ابناء العرب وما حمد له هؤلاء الابناء بعد الري وما ظهر على اقلامهم بعد الشبع ... »

اي ثناء على جورج صيدح : انسانا وشاعرا ، اكرم من هذا الثناء ، ياتيه صفوا عفوا ، ثم اي اعتراف بصنيعه على الادب العربي عامة والمهجري خاصة ، يساق اليه سائغا لوجه الحقيقة والنصفة ..؟

بكر عام .. لا اكثر ..

فاذا ابو طالب زيان ، يطل على القراء ، في افتتاحية مجلة « الاديب » (٢) ، بمقالة عنوانها « الشاعر جورج صيدح » حيث عرج فيها على جانب من حياة جورج صيدح وحلل شعره وفكره .. صدقه ووفاءه ، ثم نزعته الوطنية والقومية ، مستشهدا بنماذج من شعره .. كذلك القى الضوء على قدرته العجيبة على تصوير المشاهد والتقاطها .. وما الى ذلك ...

اقل ما يعقب او ينبغي ان يعقب على مقالة ابي طالب زيان انه لم يبق في مجال التبخير والتقدير ، مزيدا لمستزيد مشيحا وجهه ، وان شيئا فقل مجنبا قلمه عن الخوض في جانب اخر ومهم من جوانب النقد الموضوعي المجرد ، ذلك هو جانب السلبيات .

وقد صدق الشاعر العربي الحكيم :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما ان عين السخط تبدي المساويا

تصرمت اعوام خمسة ...

وتطالعنا مجلة « قافلة الزيت » بلقاء مع الشاعر جورج صيدح حول القضايا الادبية المعاصرة ، اجراه ابو طالب زيان . جاء في استهلاله : على امتداد الصلة الادبية ، وعلى بعد ما بيني وبين الشاعر الكبير الاستاذ جورج صيدح من مسافة تناولت معه هذا الحديث ، الذي اجاب فيه عن عدة تساؤلات تشغل ، آن لم تحتل افكار كثير من المفكرين في الوطن العربي الكبير (٣) » .

هذا اللقاء يدعوني والاخرين الى الاقرار بان ابا طالب زيان في ما نشر ، يعزز اعترافه بمكانة جورج صيدح بين معاصريه من الشعراء ، ويؤكد اعجابه الكبير بما يدليه من اراء وافكار .. بالتالي يكشف عن مدى تودده اليه وتقربه منه ...

ويبدو ان آخر جولة لابي طالب زيان مع جورج صيدح تمثلت في مقاله الذي عنوانه « ديوان صيدح في جزئيه الاول والثاني (٤) .. » .

تحدث ابو طالب زيان عبر مقاله ، عن الطبعة الجديدة من ديوان صيدح في جزئيه الاول والثاني ، لم يصدر الجزءان : الثالث والرابع لاسباب لا يصح التنويه بها الآن ـ حديثا حاول ان يكون فيه موضوعيا ، ليستوفي نقده جانبيه : الايجابي والسلبي ، عملا بمناهج البحث

والنقد العلمي ..

لكن جانبته النزاهة .. وخانه التوفيق !!

ذلك انه أساء الى الشاعر الصداح ، من حيث اراد ان يحسن اليه من الوجهة الفنية ..

قال في كلامه : « الحق إن الشاعر ، قد اراد التفرد بناحية لا تعفيه من الملام . وان هو حاول ان ينأى عنها بيعده من موطن النشر . الا انه مسؤول عما جاء بها من اختلال في التبويب والترتيب والتاريخ ، الامر الذي يتارجح بالمطالع لهذه الاشعار ويذهب به كل مذهب حتى انني قد حرت وانا اراجع بعض تواريخ اكثر القصائد او ازمانها او ملابساتها ، اذ كان يجب ان يراجع ما في الجزء الثاني قبل طبع الجزء الاول ويوضع كل غرض الى جوار الاخر ، متسلسلا بالتواريخ . وهذا ما يقع لكثير من الشعراء الذين يرسلون شعرهم في اغراض ياخذ بعضها بتلابيب بعضها الاخر ، ثم تكون بعيدة عن بعضها ، مما يكون موضع مؤاخذة لجل هؤلاء » ...

وقال متابعا : « ومهما تناسيت فلن انسى مزيدا من الالفاظ ، وقد فقدت رنينها الذي عودنا اياه الشاعر في شعر الكثير . فرنين اللفظ وجسامة المعنى ونكهة المأخذ او المدخل ، انما هي فريدات الشعراء الاوائل الذين اخذنا عنهم وتعلمنا عليهم . فضلا على ان الغرض الذي يعمد إليه الشاعر صيدح قد يكون غالبا في طي القصيدة او في اخرياتها .. وهذا ما آخذه عليه شخصيا .. » .

ارايت ايها القارىء كيف سدد ابو طالب زيان سهام التجريح والتقبيح الى جورج صيدح ؟ وكيف ساق اليه جملا لا تفوح منها الا رائحة العنجهية والتعالم ، من خلال حديثه عن شكليات لا تمس جوهر الاشياء ، وتواريخ بعض القصائد من حيث الترتيب والتنسيق ، وعن الالفاظ ورنينها وما الى ذلك من امور لا قيمة لها ازاء اصالة الشاعر وكبريائه ، وعظمة شعره وبداعته ، وعمق فكره وقوته ..

فالذي وقع اني في الوقت الذي دهشت لردة ابي طالب زيان من جهة ، استهجنت تناقضه من جهة اخرى .. لانه عرى شخصيته ونفسيته اماه المتتبعين والمؤرخين بعد مواقفه السابقة من حيث يدري او لا يدري ..

ما عتمت أن كتبت الى صديقي وديع فلسطين : السفير في بلاط الادب العربي المعاصر ، مستدرجا اياه لفتح ملف ابي طالب زيان ، وتزويدي بملخص عنه ايغالا في التعريف به ، وتسليط النور عليه ..

كذلك سارعت الى شاعرنا جورج صيدح ، مستفهما منه عما اذا كان قد قرأ ما كتبه ابوطالب زيان على صفحات « قافلة الزيت » عن ديوانه ؟!

بسرعة سريعة وافاني الوديع كعادته بهذا الذي انقله نصا فصا : « ابو طالب زيان مسكين .. ولعلك لا تفزع اذا قلت لك انني خالقه .. فابو طالب كان مصححا في جريدة « المقطم » . كل ما يعرفه قشور ازهرية حصلها في المعهد الديني الذي كان يدرس فيه . وعندما اقفلنا جريدة « المقطم » سرحناه وانقطعت عني اخباره . حتى اذا كنت ازور اخانا « الصيرفي » في مكتبه بمجلة « المجلة » وجدنا ابا طالب هناك وقد خلع سراويله الازهرية وارتدى الزي الفرنجي ، فاختلف شكله علي . ثم اخذ يشكو لي ظلم الايام ورجاني ان اساعده في البحث عن عمل مجز . فقلت له : هاك عنواني وزرني متى شئت . وجاء لزيارتي في « الشركة » وأثار مواجعي بشكواه من قلة الراتب وقسوة الحياة . فاقترحت عليه ان يكتب « للقافلة » وقلت له : توجه الى دار الكتب واستعر كتاب « حياتي » لاحمد امين وطالعه ثم لخصه في مقال باسلوبك . وبعد ايام جاءني بالمقال فالفيته منقولا بالحرف من الكتاب . فقلت له : اننا نريد مقالا من قلمك انت ، فخذ هذا المقال وأعد صياغته . وجاءني بالمقال فاجريت فيه بعض التنقيحات ثم نشرناه واجزلنا له الاجر . فعاد بمقال ثان وثالث. ثم اخذ يستعير كل ما يجده على مكتبي من مجلات الادب ويراسل هذه وتلك مراعيا ايثار المجلات التي تجزي كتابها . فكتب وكتب وكتب . ولكن ذلك لم يغير من وضعه الاجتماعي كمصحح في هيئة الكتاب ولا استقرت له منزلة ادبية في حياتنا . فاختار ان يهاجم القمم . فهاجم الزيات وعزيز اباظة وغيرهما . ولكن المجلات كفت عن نشر هذه الفصول بسبب ما فيها من تحامل ، فلجا الى استعطاء امراء النفط. فتقبلوا اماديحه وكفوا ايديهم عنه ، وهو ما زال يكتب مهاجما او مادحا حسب التساهيل ..» (٥) .

اما جورج صيدح فقد كتب الي وهو يقول : « قرات مقال ابي طالب زيان في « القافلة » فعجبت لردة هذا الصديق العتيق ، ولتعمده الغمز والتحقير بين السطور الغامضة . انا لم افهم « ثقافة الماء والهواء » ماذا تعني ؟ ولا افهم اختلاط التواريخ بين كتاب وكتاب ، ما دام لكل كتاب موضوع منفرد ولكل فصل عنوان خاص ولقصائده منحى خاص . فلا اختلاط الا اذا كان الاختلاط في عقل القارىء لا في النصوص المكتوبة . قد يكون عذره الحاجة الى مكافآت مالية يتناولها بالكتابة عني كما يقول القروي:

يهون عندي السب ان لبعضهم زغاليل اطفالا تعيش على سبي

ولكنت اسامحه لو لم يتعال ويتعالم كأستاذ يلقي درسا على تلاميذه (٦) » .

هنا رجوت جورج صيدح ، اذا كانت له علاقة بابي طالب زيان تتعدى الحدود الادبية المألوفة ام لا ؟ لاخلص منها الى نتيجة منطقية مقنعة .

فأجاب : « أنا لا اعرف ابا طالب زيان شخصيا ولم يجر معه اية علاقة مادية . هو يكتفي بمكافآت المجلات التي تنشر دراساته ويختار الاسخى : كالقافلة والعربي ، وانا ابارك له بهذا الرزق الحلال ، فلماذا يتجه الى الرزق الحرام ؟! ان كان اخونا وديع هو الذي خلقه ـ كما كتب لي ـ فهو القادر على لجمه وتاديبه من اهون سبيل » (٧) .

القصيدة الأخيرة

متى اطبقت ديواني على تاريخ احزاني
فقولي مر بي رجل لديه قلب انسان
انا الهمته حبا فشب بي وناجاني
وكان اسير وحدته الى ان بات يهواني
فما في هذه الدنيا كمثلينا حبيبان
نهلنا سمح صبوتنا ولم نعبا باشجان
فقلبي قلبه الحاني وعمري عمره الهاني
وكم ادنيته مني ويا ما منه ادناني
الى ان صدني عنه هتاف بات ينهاني
فكابد ما اكابده لاجل عيون نيسان
وغناني على صدعي كما في الوصل غناني
فلما ظن بي حزنا لامر منه آذاني
اتاني ، مرجعا عمري على اهداب ديوان
وغاب ، ولم يودعني وداع موله عان
ولج القلب بي شوقا بصوت منه ، نشوان
يعاتبني ، ويرفض ان يكون حبيبي الثاني
اذا الايام لم تاذن فالقاه ويلقاني
سيبسم حين اذكره ويشقى حين ينساني

فوزي عطوي

بالرغم من هذا كله ، فقد رغبت الى جورج صيدح في ما بعد ان يسمح لي ـ اذا كان هو يريد العافية وايثار السكوت ـ ان ارد على ابي طالب زيان بمقال ، كما فعلت مع الشاعر القروي من قبل ، ومع عيسى الناعوري من بعد ، الا انه ارتأى ان اتولى شؤونا ادبية اخرى اهم من هذا واعرض عنه .. حيث قال : « لا تهتم بنكسة طالب زيان ، فهو صغير حقير امام التاريخ ، عذره حاجته المادية الى مكافاة المجلات على مقالاته . فلما انتهى من المديح عمد الى التجريح . والحاجة الى واحد لا غير . اكتساب لقمة العيش ويجب ان لا نحاسبه . فالمحتاج اعمى ، ارجوك لا تكتب شيئا عنه .. (٨) » .

وما كنت ادري انه سجل انطباعه شعرا عن « الناقد النكر » كما قال ، في قصيدة هي « خواطر شاردة بين ضفاف النيل السعيد واجواء المهجر البعيد » اقتطفت منها :

ما بال ناقدنا تنكر بعدما التى واسدى
مجدته فابى سوى التجريح بالتلميح مجددا
شلت يديه حماتي فا صابني بالعين كيدا
لولا سوابق عطفه ما كان صمتي عنه ردا
حابيته بقبوله صدا ولم البله نـدا
ابن الرجولة ان ترى في ثوبه حرا وعبدا (٩)

---

(١) « قافلة الزيت » ـ يونيو ـ يوليو ١٩٧٥ . (٢) يونيو ١٩٦٥ .
(٣) يوليو ـ اغسطس ١٩٧١ . (٤) « قافلة الزيت » يونيو ـ يوليو ١٩٧٥
(٥) رسالته المؤرخة ب ١٥-٧-١٩٧٥ . (٦) رسالته المؤرخة ب ٤-سبتمبر ١٩٧٥ . (٧) رسالته المؤرخة ب ١٢-سبتمبر-١٩٧٥ . (٨) رسالته المؤرخة ب ٢٢-١١-١٩٧٧ . (٩) انظر مجلة « المراحل » البرازيلية ـ ايلول ١٩٧٥ ومجلة « الاديب » نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٧٥ .

بغداد وحيد الدين بهاء الدين

العام السادس

*

مجهود الحسينية

*

بيروت – المزرعة – شارع زريق

*

ابتدات الاحداث الدامية من المؤامرة
على لبنان بتاريخ ١٥ – ٢ – ١٩٧٥

هذا الفارس ، القادم ، يسابق الريح
على غيمة سابحة شاردة ، سوداء
فوق جبال لبنان الشماء
كانه مارد ، جبار ينازل الابطال
بجيش جرار ، لا يستكين ، لا يستريح
ما مهمته ؟.. ما عساه يكون ، وماذا يريد
من وطن مسالم شعبه جريح
ينوء ، تحت وطاة النوازل ، الكوارث
نصفه شهيد ، وبعضه شريد
يرقب السلام ، والفجر والامان
من يومه وليله المحلولك ، الطويل

* * *

– ٢ –

يا لله ، يا ديمة الامطار ، ارسلي الطوفان
للظالمين ، السارحين ، المارحين
امنعي العنف ، ابعثي الخير والوئام
لبني الانسان ، دمري الاجرام ، والسلاح
مع الذين استمرأوا التنكيل ، والقتل المباح
باسم اليتامى والقيم ، لا تزيدي الشكوك
تلاعب الفجار بالمتاجر وحرفوا الصكوك
لم نعد نقوى على التسويف ، والوعود
بددي الهواجس ، وقلق النفوس
اقطعي التجديف ، بالتعريف ، وانطقي
بكلام ، عاصف ، قاصف ، مزلزل ، رعود
عدونا في الدار ، لقد طغى ، وجار
خمس سنوات ، نعايش الدمار ، كانها دهور
نكافح العدوان ، والظلم والفجور
ننام كالذئاب مفتوحة العيون
الرعب في الوجوه ، باد على الشيوخ
يلاحق الجميع ، في الليل والنهار

* * *

– ٣ –

بالله ... يا ديمة السماء ، احقني الدماء
اقطعي حبل الصمت ، واسمعي الدعاء
مزقي حجب الغمام ، وانشدي لحن السلام
عرفي بالفارس المغوار ، باختصار
هل يمنع الشقاق ويبعث الوفاق
ويردع الاخطار ، ويطفي النار
ام يدير الخطب ، في الطريق الصعب
ويزيد الشر ، والنقع يثار



الشيخ بديع ابراهيم المنذر

١٩٠٧ ــ ١٩٧٩

بقلم عجاج نويهض

* * *

رحمات الله عليه سابغة ، فقد انتقل الى الرفيق الاعلى في اواخر السنة الماضية ، وهو ريان الرجولية في الادب والمروآت الانسانية على اختلافها ، كانـه في عز الكهولة . هو ابن الفرد الفريد ، من رجال زمـانه المربي السياسي الشاعر الخطيب سيد المنابر في لبنان ، الشيخ ابراهيم المنذر ، المشهور المواقف الوطنية في المجلس النيابي اللبناني ، واللغوي الذي سرت العربية على لسانه سريانها في العرب الاقحاح ولا سيما آل غسان في ديار الشام . فعروبة البيت المنذري عروبة كالذهب المصفى ، ومن احب التوسع فليراجع ما كتبه شيخ المؤرخين الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في مختلف كتبه التاريخيـة ولا سيما « دواني القطوف » .

ووفاة الشيخ بديع خسارة وافرة الجوانب كالجسم الموتور ، فخسره الادب ، والخلق العالي ، والمروءة اللامعة لمعان نور الشمس ، فضلا عن الروح الوطنية القوميـة الناضجة الحية ، لا تعرف التفرقات والطائفيات والحزبيات المرتبطة بالمصالح الشخصية . بل يعرف « لبنان » لبنانا عربيته وعروبته مقدستان .

فالشيخ البديع رحمه الله ، شاعر وخطيب وكاتب وهذه الصفات صفات ابيه الشيـخ ابراهيم فلا غرو ان انحدرت من راس النبع الى البديع وزاد عليها انـه كان رياضيا ممتازا . وليس الا من تحصيل الحاصل القول ان اسرة آل المنذر عريقة النجار والفخار ، فمعدنها كيفما صاغه الصائغ على الاشكال المختلفة من الحلى ، يبقى على اصله الذهبي الصافي على اختلاف الامكنة الجغرافية .

اول دراسة الشيخ بديع كان في « مدرسة البستان » التي انشأها والده المربي الكبير في الجديدة في المتن الشمالي من لبنان قبل الحرب العالمية الاولى ، وكانت من ازهى المدارس الوطنية في لبنان قاطبة ، اذ الشيخ ابراهيم كان من رجال السياسة في لبنان ، ولذلك اتسمت مدرسته بميسم وطني لبناني علمي من الطراز الاول . « مدرسة البستان » لم تعمر طويلا ، فعاشت بضع سنوات واضطرت الى التوقف بسبب الحرب العالمية الاولى . فاكمل الشيخ بديع دراسته في « العلمانية » في بيروت والكلية الوطنية في عاليه . وهو مجاز في العلوم الادارية .

وشغل عدة مناصب حكومية في داخل لبنان وخارجه وآخر المناصب التي تولاها « السكرتير الاول » في المفوضية اللبنانية في بغداد ، ثم المدير العام « للاحصاء والاحوال الشخصية » ، وقد منح وسام الاستحقاق اللبناني المذهب من الدرجة الاولى ، ومنذ العشرينات شرع في الكتابـة الادبية نظما ونثرا في صحف لبنان واختار لتوقيعه الرمزي « ديك الجن » .

ويجدر بنا ان نورد بعض النماذج من انتاجه ، ولعلها تجمع يوما ما وتطبع ، على ما امل في الوقت نفسه ان يطبع الجزء الثاني من ديوان شعر الشيخ ابراهيم فالجزء الاول صدر سنة ١٩٧٣ ثم جاءت السنون العجاف على لبنـان فتوقفت دواليب الحياة الا دواليب الخراب . وكنت منذ عـدة سنوات نشرت في مجلتنا « الاديـب » الجوابة الآفاق فصلا عن الشيخ ابراهيم بمناسبة ظهـور ديوانـه ولا ازال اذكر ان حجة العربية في لبنان امين نخله قـال وهو يقدم الديوان ، مثنيا على قوة الذاكرة والحافظة في الشيخ ابراهيم : « وانني لا اعرف في علماء زماننا من رزق تلك القوة في الحافظة الا الشيخ عبد القادر المغربي علامة وقته رحمه الله ، والشيخ عبد الله العلايلي علامة هـذا الوقت حفظه الله » ، ورحم الله صاحب هذا القول .

كتب فقيدنا الكبير ابو الهادي (١) بديع المنذر ، تحت موضوع « السامرية » منه هذه القطعة وقد تكون بيت القصيد :

« جلست في مكانها حتى رمقها الضحى ، فاذا بتلك الذكريات تصور لها مواكب الايام الغابرة وشبابا لها بعيدا قضته كانه الحلم .

وهب نسيم الغروب ، فهمس في سمعها ما ارتكبته في ايامها الماضية ، ثم حام حول جسدها بدلال وطبـع على محياها الجميل قبلته الاخيرة . وعند حلول الليـل

بجيوشه المظلمة مزق خيوط كآبتها ، فسالت دماء الرذيلة .
عند الفجر افتر ثغرها عن ابتسامة طاهرة .
اغمضت عينيها وصلت بسكون ، فانحدرت اليها محبة الله وحمتها بجناحي الشمس وقادتها الى الناس تبشر بالسيد الفادي » (١٩٢٧) .

وكتب تحت عنوان « لا تبكي » .
« لا تبكي ، فقد تلاشت احلامنا .
ولم يبق منها الا بقايا ذكرى تتضاءل بمرور الايام وانطفأت شعلة الحب .
انني اخافك واخاف ان تستحيل احزاني عاطفة تثور ..
ان في الدموع حرارة تستدرها الكآبة وتجعلها الما دائما في النفس .
وفيها مجاعة للحب تشتت ما بقي من آمال وتقود الى العذاب فالهلاك » (١٩٢٧) .

وجاء في قصيدة تحت عنوان « صه » :

صه! فقد يوقظ البلوس النياما	إن تطل هوق بالدينا الكلاما
ما بهم علة سوى انهم	يستعذبون الرقاد والاحلاما
ان عينا تنام دهرا لغير	من عيون يقظانة تتعامى

✻—✻—✻

قد كفانا والخلق اصل شقانا	نملأ الارض ثورة وخصاما
اوشك الشرق ان يكون قبورا	وبنوه جماجما وعظاما
إننا — باتحادنا في الرزايا	لا بحد القنا ننال المراما
اصلح الله شان قومي حتى	يستعيدوا الى الربوع السلاما

✻ ✻ ✻

وقال في موضوع « تربية الفتاة » :
« نحن في حاجة قصوى الى تعليم ابنائنا وبناتنا ، بل ان حاجتنا الى تعليم بناتنا أشد ، لان بنت اليوم ام الغد ، ولان حضن الام مدرسة اولية ، يتلقى فيها الطفل المواد الاولى لغذاء جسمه وعقله ، ولان النساء نصف مجموع الامة ، وهيهات ان ينهض مجموع نصفه اشل . وعبثا نحاول الارتقاء اذا لم يعالج بالعلم شلل ذلك النصف الذي هو كناية عن امهاتنا واخواتنا وزوجاتنا وبناتنا » (١٩٢٨) .

وقال في موضوع « الشك » :
« كما تلفح شمس النهار المحرقة زهرة الحقل العطرة فيجف فيها ندى الصباح ، وكما تهب الرياح الثائرة الهوجاء على خميلة زاهية فتقتلع ما نضر منها ؛ وتهشمه ، وكما تحجب غيوم السماء الكثيفة خيوط القمر المنيرة الخلابة ، هكذا انحدر الشك الى نفسك الطاهرة الناصعة ، ومد يده القاسية الى قلبك واختطفك مني » (١٩٢٨) .

وقال تحت موضوع « طير الماء » :
« وهنا استجار ربه في علاه
وهوى بضربة في منقاره
طارت منه الرشاد
صارخا مودعا دنياه
بصوت روع الطير في اوكارها
وقضى نحبه كبير الفؤاد

✻—✻—✻

هكذا هكذا يا بني الغبراء
يتفانى كبار الشعراء
وتوارى ضحية في اللحود
هكذا هكذا في نجيع الدماء
وعلى مذبح المحبة والوفاء
تقام الولائم لاهل الوجود » (١٩٢٩) .

وقال تحت عنوان « قريتي » :
« متى تحملني سفينة العمر الى مهد صباي . واعود الى قريتي الصغيرة ، فتضمنا جدران بيتنا القديم ، بين صحبي وخلاني .
متى ارى القطعان حول التلال . واسمع ناي الرعاة يئن بين السفوح فاسكر من جمال الطبيعة الهادئة . واطرب وحدي .
متى تتحقق احلامي العذاب
واتمتع ببساطة الحياة بعيداً عن الضوضاء في قريتي الجميلة . (١٩٣٠) .

---

(١) كما هو في بالي من حديث بيني وبين ابي الهادي بديع ان كنيته « ابا الهادي » اختارها الشيخ ابراهيم نفسه لعاليده .

راس المتن — لبنان　　　　عجاج نويهض



عيسى فتوح

الشاعر المهجري ميشيل مغربي

بقلم عيسى فتوح

* * *

نعت انباء البرازيل في حزيران ١٩٧٧ وفاة الشاعر الحمصي ميشيل مغربي ، احد مؤسسي العصبة الاندلسية عن سبعة وسبعين عاما ، قضى ثلاثة وخمسين منها موزعا بين التجارة والشعر ، وهو آخر حبة في عنقود شعراء المهجر الذي انفرط الى الابد ، ولم يبق احد من إعضاء العصبة على قيد الحياة إلا رئيسها الاسبق الشاعر القروي الذي يقيم الان في قرية (البربارة) بلبنان .

ولد المرحوم ميشيل مغربي في الاسكندرية من ابوين حمصيين في ١٦ كانون الاول عام ١٩٠١ ودرس في مدارسها الابتدائية اللغتين العربية والانكليزية حتى سن العاشرة ، ثم انتقلت به والدته الى حمص عام ١٩١١ حيث التحق بالكلية الإنجيلية ، وتتلمذ على الاساتذة : فريد ملحم ، وحنا خباز ، ويوسف شاهين حتى نهاية المرحلة الثانوية . ولما آنس من نفسه القدرة على النظم ، اصدر اول ديوان له تحت عنوان « العواصف » عام ١٩٢٢ .

طوحت به رياح النوى الى « تشيلي » أواخر عام ١٩٢٣ ، فاقام فيها ستة اشهر ، ثم إتجه منها إلى البرازيل حيث عكف فيها على التجارة والمطالعة ونظم الشعر في اوقات الفراغ ، وظل طويلا يمني النفس بطبع ديوانه الثاني « رمال وصخور » ، منتظرا ان تستأنف دور النشر في لبنان نشاطها ، ولما يئس من الامر دفع به الى احدى المطابع في البرازيل ، ولست ادري هل صدر او لا .

كتب الي رسالة في ٢٨ـ٥ـ١٩٧٦ في اربع صفحات كبيرة مليئة بالاعترافات والمناقشات ، فحدثني عن الامراض الكثيرة التي اصطلحت على جسمه وفي طليعتها مرض القلب قائلا :

« انني اقاسي من الذبحة الصدرية ، وسيكون موتي بسببها قريبا . اعرف ذلك غير اني إطلب من الله ان إنجز طباعة ديواني قبل أن يجيء هذا الامر المحتم ، ولقد ذللت العوائق الان . كنت مزمعا على ان اطبعه في احدى مطابع بيروت ، لكنني صبرت كثيرا ولم تنته الحوادث فيها ، فاتفقت مع احدى المطابع في سانباولو ، وسيبدأ به في منتصف الشهر القادم » لكنه مات للاسف دون ان يرى ديوانه مطبوعا ، ويقرا قول النقاد فيه ، فقد كان حظه سيئا بين شعراء المهجر عامة ، لانه لم يكتب عنه بالشكل الكافي ، بالرغم من انه كان « متين الصياغة ، رائع الخيال ، رقيق الحس ، وعالج فنونا من الوصف ، والحنين ، والتامل ، والقصص الشعري : التاريخي والاسطوري ، كما نظم في الشعر الوطني الجيد في مناسبات مختلفة » (٢).

لا شك إنه هو وحده المسؤول عن عزوف النقاد عن دراسة شعره ، يعترف بذلك في قوله : « لا اعتقد انني صغير بين ادباء المهجر ، لكن كان الكثيرون يكتبون لي لاوافيهم ببعض آنتاجي الشعري فلا اجيبهم ، فكانت قسمتي ضيزي في ما كتب عن ادباء المهجر » .

سألت الشاعر المرحوم شكر الله الجر عنه مرة فاجابني : « ان ميشيل مغربي اجود قريحة من سائر شعراء حمص في البرازيل ، واكثرهم تعددا لموضوعاته .. وعند من لا يعرفه اديبا ، يظنه تاجر ازرار فحسب » ولما اطلع ميشيل مغربي على رأي زميله في العصبة الاندلسية الذي نشر يومئذ في مجلة « الاديب » اللبنانية ، علق عليه بقوله : « هذا صحيح وذلك لاني تاجر ، هل يريدني ان اظهر إمام الزبن بمظهر الاديب ؟ او ان اتكلم معهم كلام اديب ، وهم انصاف اميين ؟ لو فعلت ذلك لشعروا بالنقص فانفضوا عني ، وتهربوا مني ... انها خطة مني لم يكن منها بد. لي قصيدة عنوانها « نجوى العاصي » نظمتها بعد خمس سنوات من وصولي الى البرازيل ـ وكنت قد قضيت تلك السنوات الخمس متجولا في أنحاء البلاد ، إعرض بضاعتي على المواطنين ، آصحاب الحوانيت التجارية البعيدة عن سانباولو ، ولم انظم في اثنائها الا قليلا جدا اصف فيها حالتي ، ومنها هذان البيتان :

ولقد اجوف علي ستر تكو ... للاميـة مبعد طراح
والقوم لا يدرون اني شاعر الـ ... عاصي ، وإني البلبل الصداح

ان عملي في التجارة كان يقتضي مني بساطة المظهر وبساطة الحديث ، اما شكر الله فلم ينجح تاجرا ، لانه كانت تنقصه السياسة . اشتغل في الادب فانتج انتاجا حسنا ، اما انا فاليك ما اقول ايضا في قصيدتي « منا شان ربك كان » :

خضت التجارة والقريض معا   بحربين كل زاخر طام
فقضيت عمرك في العباب ولم   تطفيء غليل فؤادك الظامي
لو لم تخض بحر التجارة لم   يبلغ قريضك اي عوام
ولكنت اثرى القوم عن ثقة   لو كنت للشعراء لم تنضم
ما شاء ربك كان لا تندم

لقد نجح ميشيل مغربي في التجارة والشعر معا « يطارد الشعر والشعر يطارده (٣) فان التقيا على غفلة من الاشغال المادية جاء بشعر غنائي بديع ، وان اهتم بمناسبة عرضت اجاد النظم ، ثم انصرف الى مهامه وقتا طويلا لا ينتزعه الشعر منها الا بقوة قاهرة خارجة من إعماق نفسه » .

كان شاعرا حساسا ، سريع التأثر ، يتطير من كآبة المساء ، وهجوم الليل ، ويضيق بالحزن الذي يحمله غروب النهار الى حد الاختناق ، وقبله ضاق خليل مطران وايليا ابو ماضي :

نشرت راية الاصيل لتطوى   صفحة اليوم بعد صفحة امس
هوذا الليل هاجم في سواد   يغمر الارض بالاسى والتأسي
ناشرا راية الكآبة حتى   لاخال الوجوه مرآة نفسي

لكننا نجد فلسفته في الحياة والموت تختلف عن فلسفة ايليا ابي ماضي في قصيدته « الطلاسم » التي لا يدري فيها من اين جاء والى اين سيمضي . إنه « لا يبالي » بكل هاتيك القضايا المصيرية ، وحسبه في هذا الوجود ان يتمتع بالجمال المطلق ، ويتنعم بالأحلام الناضرة :

ايه يا طير ان سر البرايا   بابه ظل محكم الاقفال
حاولت فتحه فلاسفة الدنيا   فباؤوا بالعجز والاخفال
حسبنا في الوجود انا وسعنا   كل حسن الوجود بالاحداق
وامتطينا احلامنا فجرت خلف   الثريا جري الخيول العتاق

لكننا نجده في قصائد أخرى « يبالي » كثيرا بمسألة ألوجود والمصير ، ويقع في نفس الحيرة والتساؤلات التي وقع فيها شعراء المهجر الشمالي بخاصة : ماذا وراء القبر؟ وما مصير شاعر ينتظر العفو والمغفرة من ربه ، الجنة ام النار ؟ :

ماذا وراء القبر يا خالقي   من بعد ان اخلع هذا الجسد
اعددت نارا ام ترى جنة   لشاعر على رضاك اعتمد
بشفع في محو معاصيه
بعض خصال حلوة فيه   ترضيك مولاي مباديه
معتقدا ما اعتقد

زار ميشيل مغربي سورية سنة ١٩٥٦ بعد هجرة دامت ثلاثة وثلاثين عاما ، فقد وصل الى البرازيل في الرابع عشر من ايلول سنة ١٩٢٣ ، ووصل الى حمص في الرابع عشر من ايلول نفسه سنة ١٩٥٦ ، فما ان اكتحلت عيناه برؤية حجارها السود ، ولاح لهما نهر العاصي حتى اغرورقتا بالدموع ، اما هو فقد ضاع في نشوة اللقاء ، لا يدري أفي حلم هو أم في يقظة :

هذي تحية مدمعي الهطال   يا ايها الوطن الحبيب الغالي
في يقظة القاك ام في غفوة   من بعد اعوام مررن طوال
اجر الغريب رجوعه لبلاده   ما اجره احرازه للمال

ثم ينتقل الى حمص التي إنجبت خيرة شعراء المهجر ، ليتغنى بجمال رياضها ، وعبير ازهارها ، ووارف ظلالها ، ونضرة اثمارها وأشجارها ، ويتذكر معاهد طفولته ومرابع صباه في « الميماس » فيقول :

ياحمص ، ياحمص الحبيبة مرحبا   بنسيمك المتعطر الاذيال
برياضك الغناء ، بالازهار بالا   ثمار ، بالاشجار ، بالاظلال
بديار احبابي ، بلربع صبوتي   بمرتع احلامي ، بافق خيالي
إن تنجبي الشعراء لست بعاقر   من خالدي الشهداء والابطال

وهل تراه يذكر حمص دون ان يذكر عاصيها الذي سلخ اكثر من ثلث قرن يحن الى جرعة من مائه الرقراق ، ورقدة هادئة على ضفافه الساجية ، يستعرض فيها صور الماضي ، وينظر الى غروب الشمس الذي يذكره بغروبه المنتظر عن هذا الكون :

عاصي ، يا عاصي ها انا عائد   خل الاثين ، وخف لاستقبالي
اواه ، واحر الفؤاد لجرعة   من مائك المترقرق السلسال
ولضجعة فوق الضفاف طويلة   ذكرى لضجعات الزمان الخالي
مستعرضا اشباح امسي ناظرا   في الشمس غاربة مثال زوالي

والعاصي لا يكاد يختلف في انينه ، وضحكه الممزوج بالبكاء ، عن حال الشاعر ، فكأنهما في الهم واحد ، لولا ان العاصي ما يزال في ريعان الشباب ، لم تغيره ظروف الدهر وهو قد لوت الليالي كفه على العصا ، وإصبح قاب قوسين او إدنى من القبر :

تمسي وتصبح باكيا متضاحكا   أتظن يا عاصي حالك حالي
طوباك انك في اهابك لم تزل   اما انا فانظر ترى ما لي

وبسائل النهر اما يزال يذكره صبيا يتردد عليه صباح واصيل كل يوم ، وحيدا ، متشردا ، تائها متنقلا بين « الوعر » و « الميماس » و « الشلال » ، لا شيء يشغل باله الا البحث عن اسباب الهوى ، ودواعي اللهو والمتعة ، اما اليوم فلا دعد ولا هند ، وصار اذا رمى سهام الحب طاشت واخطأت اهدافها :

أولست تذكرني صبيا طالما   وافاك في الاصباح والإصال
متفردا ، متشردا ، مترددا   للوعر للميماس للشلال
والقلب يملؤه الهوى لا شيء الا   ه والا هند يشغل بالي
فاليوم لا هندا ولا دعدا ارى   ارمي الحسان ولا تصيب نبالي

وينتهي آخيرا إلى هذه الصورة الرائعة التي تفصح عن شاعرية ميشيل مغربي الطلقة ، وتدل على ابداعه وسمو بيانه ، ففيها وثبة في الخيال ، ودقة في الاحساس ، وهل هنالك أروع من صورة القلب يسابق الحذاء لمعانقة تراب حمص الذي لا يكاد يطأه الا مترفقا كأنه في هيكل ؟ وهل هنالك ابدع من رؤيته وقد إكب على حجارة حمص يقبلها خاشعا ، وعلى ترابها يمرغ به جبينه ؟ إن هذا عندي بمنتهى منتهى التقديس والاحترام :

حسرا امر على ربوع طفولتي   ومواكب الذكرى [illegible]
مترفق الخطوات لا اطا الثرى   الا وقلبي سابق [illegible]
ولقد اكب على الحجار مقبلا   واعفر الاهداب بالصلصال

عاد ميشيل مغربي الى حمص في السادسة والخمسين من عمره شيخا يلوذ بالصلاة ، بعد ان غادرها شابا لا يدور لسانه الا على الغزل ، ولا يفيض قلبه الا بالنجوى ، عاد ، وقد جففت الشيخوخة اناشيده واغانيه ، ليطلب من حمص

التوبة والمغفرة على بعده الذي يعتبره عقوقا لها وانكارا للجميل :

بصلاتي الخرساء هـمست اليـك لا بتغـزلي
فتشاتدي وجمت على شلتي بعـد ترحـلي
هـلا تقبلت المتـاب فقلـت يا رجـل ادخـل
يا هيكل الإحسـلام ، يـا دار الحبيـب الاول

عاد الى حمص ليسلم عن كثب ، ويرد التحية ، لكنها لاذت بالصمت ، وكانها لم تطرب لعودة شاعرها الفريد ، وقد طارت جوانحه من شدة الشوق والحنين ، الا انه مع ذلك لم يضيع طريق البيت ، فهل يمكن ان يضيع العصفور طريق عشه القديم ، ولو طال الفراق وامتد البعاد ؟

بـاكرت الربـك السلام فـلذت بالصمـت العميـق
ردي التحيـة ، فقلـبي لايـاب شـاعرك المشـوق
طـارت جوانحـه اليـه ولم يضـل عن الطريـق
والطير ليس يضـل حتـ ن يعـود للعش العتيـق

لقد وفى الشاعر بوعده لحبيبته في العودة الى الوطن، لكنه عاد بلا شباب ، وكان قد غادره يافعا يتفجر صحة وعافية ، بحثا من المال الذي وجده بعد العناء :

قولي لهـا يا دار ان سالتـك عـني بالكتـاب
العهـد لم به الحبيـب بانـه يا هنـد آب
قـد كان لا مال له ، واليوم ليس لـه شبـاب

كان القاسم المشترك الاعظم لشعراء المهجر هوالحنين الى الوطن ، والمشاركة في المناسبات الدينية والاجتماعية، والاحتفال في الاعياد القومية ، حيث كان يتالق فيهـا ميشيل مغربي شاعرا لا يشق له غبار ، يلتهب حماسة واندفاعا ، ويتقد نخوة وحمية ، كما بدا في قصيدتـه « عيد الشهيد الاكبر » التي الح فيها على ضرورة الوحدة العربية ، ليعيد العرب كلهم عيدا واحدا :

ما العيد الا يوم ابصر امتي بين المذاهب تجمع الاضدادا
اما شكت مصر لضيم نالها ابكت دمشق واحزنت بغدادا
واذا فلسطين اصيب فؤادها فكان لبنانا اصيب فؤادا

ويصب جام نقمته على اولئك الذين تفرق بـين اخوتهم في الوطن نزعـات الطائفية البغيضة المريضـة ، فيتاجرون بها ، ويلقون مصلحة الوطن جانبا ، وهو هنـا يلتقي بالقروي .

لقد عاش ميشيل مغربي في بلاد الحرية ، لا يعرف للتعصب معنى ، يحارب تجار الطائفية والاقليمية الضيقة من اجل ان تبقى كلمة بلاده واحدة ، لا يعرف التمـزق الى قلبها سبيلا ، فاذا اطل عيد المولد النبوي احتفل مع اخوانه المسلمين بهذا العيد كانه منهم ، وكان العيد عيـد جميع المسيحيين :

ما لاح اضحى او تالق مولد الا طربت كانني انـا منهـم
جودت آي الذكر في قرآنـه فاذا ملائكـة السمـاء تحـوم

ويربط بين العروبة والاسلام ، فالشاعر الصادق العروبة ، في رأيه ، هو ذاك الذي يجيد النظم في هـذا العيد الاغر :

ما انت في حب العروبة صادق ان لم تكـن في عيد طـه تلهم

بل كيف يجوز ان نصنف الناس حسب اديانهم ، وكلهم ينتمون الى ارومة واحدة ، هي أرومة العروبة ؟

اولست منهم والارومـة يعرب والى الارومـة كل فرع ينتمـي
اني لفي قلبي المسيح واحمـد ولفيـه آمنـة تقيـم ومريـم

ولو سأله احد عن دينه لاجابه بانه ينتمي الى المذهبين معا ، فهو مسيحي ومسلم في آن واحد :

يا سائلي اي المذاهب مذهبي اني مسيـحي واني مسـلم

ويرى ان اي واحد منا لم يختر دينه لانه الاصلح ، وانما لانه ورثه عن ابيه في جملة ما ورث ، لذلك كانت عنده جميع الاديان السماوية متساوية في جوهرها ، لانها كلها تدعو الى الحب والخير والصلاح ، ولا فرق بين ان يعتنق الانسان هذا الدين او ذاك ما دام كلاهما يقودان الى الحق ، ويبشران بالسلام :

يرث الفتى عن والديه دينـه فاذا بـه يرضى ولا يتبـرم
كل صراط مستقيـم للفتى ما دام غير الحق لا يترسـم

لم يكن المغتربون العرب يتركون مناسبة من المناسبات القومية تمر في الوطن الا احيوا مثلها في مهاجرهم ، وكانت هذه الاحتفالات تتكرر عاما بعد عام ، فعندما احتفلـوا بذكرى مرور عشرة اعوام على جلاء الاستعمار الفرنسي عن سورية ، نظم الشاعر ميشيل مغربي قصيدة من خمسـة وخمسين بيتا ، وراح يتغنى بها ، مشيدا بذلك اليوم الاغر الذي نال فيه السوريون استقلالهم بعـد كفاح مرير ، وصراع عنيد ، قائلا :

لا طويت الادهار جلق الا ولواء العـلا بهـا ممدود
جندي جندي اميـة قد نا داك من جنة الخلود الوليـد
ما جلاء العدو الا جلاء الا بطـل ، لله يومـه المشهـود
يوم اعلى الكفاح رايته البيضا ء ، وانبط للفجـور عمـود
فاذا العز والكرامـة لا سلطـ ـات ، مستكبر ، لا عميـد

ويفخر بامته العربية التي راحت تسير في طريـق المجد ، متخطية الاشواك ، متباهية بعدد ما قدمت مـن شهداء ، وبذلت من تضحيات فيقول :

امة تمـعو في طريق علاها وكان الاشـواك فيهـا ورود
تزدهي كلما اشارت الى قبر وقالـت : هنـا اقـام شهيـد

ثم يرسم لنا هذه الصورة الرائعة التي يبين فيهـا ان اللباس الارجواني الذي تلبسه اليوم ناعمين ، انما كان من دماء الاحرار التي سفكت فوق ارض الوطن ، واذا كنا نحتفل بعيد الجلاء ، فعيد الشهداء هوخلود ارواحهم في جنات النعيم :

ان لبسنا من الحياة برودا فدماء الاحرار هذي البرود
او يكن عيدنا الجلاء فعيد الـ شهـداء القيبيـن الخلود

لقد اصاب ميشيل مغربي ما اصاب سائر شعراء المهجر ، حين انتقلوا من مدنهم وقراهم البسيطة الوادعة في الشرق ، الى بلاد الالة والصناعة ، حيث لا يعرف الاخ اخاه ، ويعيش الانسان رقما تافها ، عبدا للالة التي تأمره فيطيع ، لذلك كره مدنية العالم الجديد وحياته الزائفة المصطنعة ، وآثر العودة الى البساطة في احضان الطبيعة حيث يعيش الانسان حرا قانعا ، وسيد نفسه :

صفو الحياة قناعة في مذهبي والبعد عن بعض النجاح نجـاح
والعيش في كنف البساطة جنة والعمر فيـه كلـه افـراح

النقد

لو تحسب النقاد في صفحة   لامتلات بسوافر العد
اقلامهم اكثر من عشرة   جائعة تنهش في فرد
ليس اختلاف دائما بينهم   في معرض التعبير والسرد
ان امتهان الراي في عصرنا   بادرة تدعو الى النقد

الكوت ـ العراق   كاظم محمد حسين

تبا لها مدنية لمرارة   سجنت بها الاجساد والارواح
اصفى من السلطان بالابي الورى   الشاعر القروي والفلاح

وهو يغبط الطيور على حياة الحرية التي تحياها في ظلال الطبيعة السمحاء ، حيث لا تقاليد تحدد سلوك المخلوقات ، ولا شرائع تقيدها ، ولا اوضاع اجتماعية آسرة تشدها بوثاقها :

اين هم منك يا كناري في صفـ   ـو وشدو وغبطة وعناق
اين هم من طير حكيم له الرو   ضة العرش والعزش غير مطاق
لا تقاليد ، لا شرائع لا او   ضاع عيش تشده بوثاق
فهو يهوى الحياة بكرا كعابا   عريت من اثوابها الاخلاق
وهو دون الورى بحب وحب   قانع رائع بجو راق

ويصور حالة الشر ، والفساد ، والتناحر ، وانحطاط الاخلاق التي جرتها علينا المدنية الحديثة ، وكيف صارت عشرات الجرائم ترتكب كل يوم باسم هذه المدنية الزائفة التي اصطنعها الانسان ، ولكن لنسفه وتدميره روحيا وجسديا :

غير انا يا طير من عالم رهـ   ـن فساد ، وفتنة ، وشقاق
يدعي غاية التمدن فيه   خاضبو الارض بالدم المهراق
عابدو النار والدماء فما يعـ   ـد صلاة في معبد الاخلاق

كان ميشيل مغربي شاعرا بارع الوصف ، اوتي بصرا نفاذا ، وبصيرة وقادة ، وكان شديد التأثر ، ملتهب الشعور ، فاذا راى فتاة بعمر الورد تتاوى على سرير المرض ، والحمى تلهب انفاسها ، وصفها وصفا دقيقا ، ينم عن دقة احساسه ، وصدق عاطفته ، ونبل مشاعره . فقد كان صدرها يعلو ويهبط كالموج في العاصفة ، وشعرها ينتشر فوق الوسادة كالليالي الحالكة السواد ، يزحم بعضها بعضا :

باناتها يعلو ويهبط صدرها   عواصف من موج على الشاطىء انقضا
وقد شعثت فوق الوساد شعورها   ليالي بهما بعضها يزحم البعضا

ثم يصور شعوره نحوها ، وكيف كان يسترق النظر اليها استراقا ، فاذا التقت الانظار بغتة ، اغضى حياء وخجلا ، وراح يداعب كفها ، ليوهمها بانه يجس نبضها :

وطرفي عليها يجتلي قسماتها   اذا اعرضت حتى اذا نظرت اغضى
اخادع بالكفين كفا تمجها   واوهمها اني اجس لها نبضا

لقد ظل ساهرا عليها عدة ايام بلياليها ، لا تعرف اجفانه طعم النوم ، حتى تحسنت صحتها ، ونضرت حمرة العافية وجنتيها ، وزال المرض عنها ، ولكن الى اين ؟ الى جسده ليستقر فيه :

سهرت عليها ليلة بعد ليلة   وجفني الليالي كلها لم يذق غمضا
الى ان رايت الورد عاودحسنها   وزايلها داء الى جسدي افضى

* * *

ان قصيدة « المريضة » التي اخترت منها هذه الابيات القليلة ، كافية لان تعطينا فكرة عن الجانب الوصفي في شعره الذي تعددت اغراضه وتميزت الوانه .

ان ما بين يدي من قصائد كان المرحوم ميشيل مغربي قد ارسلها الي قبل وفاته ، يكاد يساوي ربع الديوان الذي ننتظر صدوره . وانا هنا اشعر بالتقصير لانه لا يمكنني ان اتناول هذه القصائد كلها بالدراسة والتحليل ، وكل ما آمل أن اراها مجموعة في ديوانه « رمال وصخور » الذي كان قد ارسل منه نسخة مخطوطة للشاعر عبد الله يوركي حلاق صاحب مجلة « الضاد » في حلب لطباعتها ، ولست ادري من ذا الذي سيتولى هذه المهمة ، ابناؤه في البرازيل ام الاستاذ حلاق ؟ المهم ان ينشر الديوان ، ويوزع ليطلع عليه الدارسون والنقاد ، ويضعوا صاحبه في المنزلة التي يستحقها بين شعراء المهجر الجنوبي .

---

(١) لان والده توفي قبل ولادته باربعة اشهر .

(٢) ادب المهجر للدكتور عيسى الناعوري ـ صفحة ٥٢٥ ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثالثة .

(٣) ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية لجورج صيدح صفحة ٤٠٤ ـ دار العلم للملايين ـ الطبعة الثانية .

دمشق ـ كزبري ـ ٤٨ قصور   عيسى فتوح

زمن بلا رحمة

بقلم نادر السباعي

نعم .. نحن ابناء الارض .
نخطىء ونصيب . ولكننا دائما ندفع الثمن . ايه .. ما هو العمل في ورطتي ؟
حقيقة .. اني قد مارست الحب بلا اجازة .. بلا ترخيص قانوني ! لقد إحببت في السوق السوداء .. لكن مع من ؟
انه فارسي . وحبيبي .. ولكننا تعجلنا ليلة الزفاف ! وهل هذه المخالفة ، هي ام المخالفات ؟
ايه .. واحسرتاه !

بت اتقلب على الوساد واتململ على الفراش . اخادع الكرى واجاهد الارق .. ما نعمت مقلتي بنوم . ان الحدث الذي يتمثله خاطري كثيرا ما يردده فكري وأضحا قوي الإثر ! اني فتاة تاعبة ، رمتها الاقدار بأقسى مصيبة !

ــ ويلاه ، ماذا افعل ؟
لحظات تمضي ..
كوابيس تلهب نفسي .. وعدوى الحمى تمزق إعصابي وحسي !
ــ لا ادري ! هل هذا الامر حقيقة ؟
أعود للذكرى . وأراجع امتع لحظاتي :
ــ انت .. يا فارسي ! يا اعظم فارس .. اين انت الان ؟
انت اروع من يلفظ الكلمة . ويجسد الحركة بكل رجولة ..
ــ اين انت يا حبيبي ؟
كيف تركتني وحيدة ..
اني اخادع الكرى .. واجاهد الارق .. لازلت اتململ !
لقد عوقب حبنا . تلك هي المشيئة !
اذكر كلماته . كأنها كتاب شعر :
ــ إجل . هلمي يا زنبقتي ! نتحاب .. ونشهد على سعادتنا رقعة من الارض وبقعة من السماء . ان هذه البقاع ستكون اعظم شاهد على حبنا ..
لقد سجا الليل .. وانتصف . وسكنت الحركات ..
اسفي على سعادتي ..
لشد ما تبتهج نفسي ، حينما تسنح لنا الخلوة . كنت انثر نفسي بين يديه ، كأشرعة سفينة قديمة .. كيف يسرع الزمن بمقدار ما نسرع في لقائنا . وتفاجئنا الساعة بدقات الوداع !
ــ اين انت يا حبيبي ؟
تعال الي ..
ان لم يمكنك الحضور ..
لاي عذر ، ....
ساكتفي بالرائحة ..
لا زلت اتقلب على الوساد ..

واتململ . موزعة النفس ، حائرة .
ــ رباه .. ماذا جنيت ؟
ــ اليس من العجب ان تسوق الاقدار المحنة والحسرة .. للقلوب الغضة المعطاء ! وكيف انعم بالحياة بعدما وقع فارسي . وقد كبا الحصان .
ــ كيف اذهب الى المدرسة غدا . واواجه زميلاتي ؟ لقد عرفوا ما حدث . ان اغلب صديقاتي يعلمن بقصة حبي . وهل لهذه القصة من مخبأ ؟
ويح اقداري . ماذا فعلت ؟
شيء يفاجئني ..
ويحرقني
ويتركني بين الحقيقة والخيال .

اذكر الايام الرائعة بجلالها . حين قال :
ــ حبيبتي .. اني اتعجل الزمن في حركاته . لحظة يأتي اليوم الذي يجمعنا في بيت الزوجية .
قاطعته بفرحة غامرة :
ــ اكاد لا اصدق ! هل سنصبح زوجين مثل كل الازواج ؟

ــ بلى .. يا زنبقتي ! إني اسعى بكل طاقتي لاحقق حلمنا الجميل هذا . (ثم تابع) هل تصدقين ؟ بت لا استطيع فراقك لحظة واحدة .. اراك في كل مكان .
اتخيلك في الحاضر والمجهول .. في القمر والنجوم وكل الشموس ..
اصبحت تسكنين دمي .
عشقي غدا اشد من غلواء البركان
قلت له بلوعة :
ــ ماذا سيخسر الزمن لو حقق آمالنا في يوم وليلة ؟
اجابني بعد ان غابت البسمة عن وجهه :
ــ ايه .. يا زنبقتي ! ان مشروع الزواج ، اصبح اصعب من تسلق عمارة ! إمامنا الف حاجز .. هل سنجتازها بخير وسلام ؟
الخلوة
فيها الضوء الاحمر للعشاق ..
كيف يمكننا ضبط عواطفنا بعيدا عن سيف السلطان ؟
اختصرنا الغرف والعادة .. والكاتب بالعدل .. لم يعد من رقيب سوى ضمائرنا المخدرة .
قلت بلهجة محمومة :
ــ ماذا يجعلنا ننتظر الزمن .. اريد ان أعود للعصر الحجري ... حيث لا مراسم في الخطبة .. ولا شكليات !
اجابني فارسي :
ــ لا يا زنبقتي !
قاطعته بحرارة الملتاع :
ــ واه .. يا حبيبي .. انني لم استطع الانتظار !
الزمن المسروق .. يمضي بلا رحمة



يا ألف اهلاً

اهلا وفـاء انـت في ضـعاد	ام انت وسط حشاشتي وفؤادي
اليـوم يا عيـني قـرا واهدءا	من بعـد طول ترقـب وسهـاد
وتطلعا هـدي التي حرمتكـما	طعـم الكرى فتنعمـا برقـاد
يا الف اهلا يا وفـاء حبيبتي	يا ما احيلى القرب بعـد بعـاد
اني لقد طرزت دربـك بالمنى	بالشعـر بالقبـلات بالاوراد

بغداد ص.ب ٤٦٧ — باقر سماكة



المجموعة الشمسية تتأوه ..
الفراشة تقطف البلسم .
اخيرا .. يحصل الزلزال !
واجسرتاه نحن ابناء الارض ..

نستهلك انفسنا دائما .. دون روية.
لم اسمع نصيحة استاذي ، حيث خاطبني بثقة وهدوء :

ـ لا تتعجلي .. لا تغدقي كل عواطفك . اجعلي للعقل مكانا في علاقتك . لا تستهلكي كنوز حواء .. اخشى أن تندمي في يوم من الايام !
صحوة العقل نبتت .. اخيرا
ـ رباه ..ماذا افعل ؟

اني نادمة !
هل من مخرج ؟
العن ... الف مرة
كل فتاة .. تسرع في قطف البرتقال !
كل شيء في الحياة رائع .
ولكن ..
لا بد ان ياتي الربيع في اوانه !
لم اذق طعم النوم .
تحاملت على نفسي حتى ارتدي ثياب المدرسة . لقد اشتقت اليها بعد انقطاع . باتت الرغبة تلح علي بالذهاب ، ان تسويغ المرض قد طال. قد احس بالسلوى وانا امارس حياتي العادية .
جثماني يسير وأنا فاقدة الارادة . موزعة النفس .. فاقدة الشخصية
اتلمس طريقي
عبر هضاب صحراوية .. التقيت بمرشدي . استاذي .. كله رجولة واتزان . خاطبته بندم ولوعة تحرق الفؤاد :

ـ استاذي .. اعذرني .. لم اسمع نصيحتك !
حبيبي فارس احلامي .
قد مات في حادث سيارة !!

حلب ـ المحافظة — نادر السباعي